مصطفى محمود

الشيطان يسكن في بيتنا

دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع.

شخصيات المسرحية

الشيخ ابراهيم طنطاوى	رجل صوفى فى الأربعين
سونيا	ممثلة إغراء مشهورة وصاحبة فرقة مسرحية
إدريس، اسماعيل، أحمد، يحيى، عيسى	دراويش ومريدين للشيخ طنطاوى
ماريكا، نانا، زازا، فانى، راشيل	راقصات فى فرقة سونيا المسرحية
توتو	مخرج فرقة سونيا
جيمى الفونت	مصمم الرقصات
جدو	المدير المالى للفرقة
أونكل	المدير الفنى للفرقة
سوسو، بوسو	راقصان فى الفرقة

الفصل الأول

(صحراء جرداء . . لا ترى شجرة على مدى الرؤية . . تلال من الرمل . . أعشاب من الشوك والحسك والصبار . . كوخ من الحطب الجاف والصفيح والخرق القديمة . . ثم لا شيء .

الوقت نهار والشمس تلهب الرمال .

على البعد صوت عربة . . يتوقف الصوت . . نسمع صوت مارش يدار عدة مرات دون جدوى . . صوت المارش من جديد . . ثم لا حركة . . صوت باب العربة يصفق . . ثم صوت وقع أقدام تتبختر على الحصى . . تدخل امرأة فى الثلاثين فى ثياب صيف مودرن . . ميني جيب يكشف عن ساقين مثل قمعين سكر . . وبوت فضى . . بلوزة ذات ألوان ملفتة . . باروكة ذهبية . . خدان حمراوان من لسع الشمس . . فى يدها نظارة تلوح بها وهى تتبختر . . تتلفت حولها كأنها تبحث عن شيء .

تتجه إلى الكوخ . . تقف أمامه . . تتردد قليلاً . . ثم تدق بنظارتها على الصفيح . . لا أحد يرد . . تتشجع أكثر فتدق بيدها) .

— يا أهل الله

— (صوت من الداخل) مين

(يخرج رجل فى الأربعين فى يده سبحة وفى عنقه سبحة أخرى طويلة . . ثيابه تدل على أنه من الصوفيين المنقطعين للعبادة . . نظراته زائغة . . يفاجأ بمنظر المرأة على الباب فيرتد خطوة ثم يغض بصره وينظر الى الأرض) .

– أستغفر الله . . إنت مين ؟

– أنا ف ورطة يا عم انجدنى .

– ورطة إيه يا ست ؟

– العربية عطلت منى ووقفت فى عرض الطريق . . اعمل معروف شوف لى ميكانيكى . . حابات فى الخلا فى وسط الديبه إن ما عرفتش اطلع بالعربية من الصحرا المخروبة دى . . أرجوك ساعدنى . . إنده على واحد ميكانيكى أو دلنى على جراج .

– ميكانيكى إيه وجراج إيه وعربية إيه . . هى دى سكه بتمشى فيها عربيات . . ده انتى فى حته مقطوعة . . صحرا على مدى الشوف . . مفيش مخلوق ولا دكان ولا شجرة ولا عود أخضر ولا صريخ ابن يومين . . ثم فهمينى . . إنتى إزاى دخلتى بعربيتك هنا . . ومفيش طريق مرصوف .

– قالو لى دى سكة الشيخ إبراهيم طنطاوى ووصفوا لى الطريق المهبب ده . .

– وعاوزه إيه من الشيخ إبراهيم طنطاوى .

– إنت تعرفه . . أرجوك دلنى عليه . . خدنى على بيته . . ده أنا بدور عليه طول عمرى . . دنا دايخه عليه . . جيت له من آخر الدنيا . . نفسى أشوفه مرة واحدة وأموت . . . قالو لى إنه بيقرا الكف ويضرب الرمل ويفتح الفنجان ويعرف المستخبى ويشوف البخت ويفك الأعمال ويحل العقدة إللى مالهاش حلال .

– أنا هو الشيخ إبراهيم طنطاوى .

(تنظر إليه فى دهشة وقد عقدت لسانها المفاجأة)

– إنت . . هو . .

(تحسسه كأنما لا تصدق . . ثم فجأة تقفز على صدره وتتعلق برقبته) .

– إنت الراجل اللى بحلم بيه . . إنت أملى . . إنت حياتى . .

(ينتزع يديها عن حول رقبته فى عنف)

– إيه يا ولية الجنان ده . . نقضت وضوى . . الله يكسفك . . أعوذ بالله السميع العليم من كل شيطان رجيم . . أعوذ بالله من غضب الله .

(هى ما زالت واقفة ذاهلة مفتوحة الفم فى حالة فرح حيوانى . . ولا تلبث أن تعود فتقفز عليه وتتعلق برقبته وصدره وتحتضنه وهى تهتف فى طفولة) :

– إنت هوّ الشيخ طنطاوى بلحمه ودمه . . اقرصنى فى ودنى عشان أتأكد إنى مش بحلم .

– إيه يا ولية شغل الجنان ده . . إيه اللى بتعمليه ده . . يا وليه ابعدى عنى أنا فى عرضك .

(يحاول أن يتخلص منها فلا تفلته وكلما استغفر أكثر شددت عليه ذراعيها أكثر) .

– أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم . . يا منجى من البلاء يا رب . . يا مفرج الكروب . . يا ولية سيبى فى حالى . .

– إنت الولى صاحب الكرامات والفتوحات . . أنت صاحب الحجاب الجلاب اللى يشعلل نار الأحباب . .

(يستجمع الشيخ كل قوته ثم يدفعها بعيداً فى عنف هاتفاً وقد نفد صبره) :

– يا ولية حلى عنى وشى . . أنا لا ولى ولا صاحب كرامات . . ولا صاحب فتوحات ولا بضرب رمل ولا بفتح فنجان ولا أعرف مستخبى ولا أشوف بخت . . أنا راجل غلبان على باب الله . . ابعدى عنى .

– بالضبط . . هوّ ده اللى قالوه .

– هو إيه اللى قالوه ده .

– قالوا حاينكر إنه شيخ مبروك وحايقول إنه راجل غلبان على باب الله . . وقالوا لى إوعى تصدقيه . . دى هىّ دى طريقة الأوليا المبروكين . . تواضع المهنة . . مش كده (فى رقة) يا مولانا .

(تقترب منه فى إغراء وتهم بالقفز على رقبته مرة أخرى . . ولكنه فى هذه المرة يختطف عكازاً غليظاً من على باب كوخه ويلوح به فى وجهها مهدداً) :

– إياكى تقربى منى يا ولية . . خطوة واحدة وحانزل بالشمروخ ده على دماغك أدشدشه .

(تتراجع خائفة)

– يا لهوى .

– ثم أنا مش فاهم . . إيه التهجم ده . . واحدة ما عرفلهاش اسم ولا رسم تتهجم علىّ . . وتخش بيتى .

– بيتك . . بتسمى المزبلة دى بيت .

– مزبلة . . هو صحيح مزبلة . . لكن أحسن من المبولة اللى سيادتك ساكنه فيها .

– مبولة . . أنا ساكنه فى مبولة . . إنت تعرف أنا مين . . إنت تعرف إنت بتكلم مين بالألفاظ دى .

إذا لم تخنى الذاكرة فأنا أمام الست سونيا .

- رائع . . مدهش . . أول كرامة لك يا سيدنا الشيخ .
- ولا كرامة ولا حاجة . . صور سيادتك منتشرة ع الحيطان فى كل مكان . . أفيشات متر فى عشرين متر من هنا لبنها . . بشوفها غصب عنى على دكان الحلاوة الطحينية لما أنزل أشترى تموين الزيت والسكر كل ست أشهر . . مع فرق بسيط . . إن الصورة هناك عريانة . .
- كده . . تبقى عرفت مين اللى بتكلمها . . وانها مش ساكنه فى مبولة . . وإنما فى قصر ملكى على النيل .
- فى مبولة شعبية وحياتك بيعدى عليها الزباين آخر الليل يريّحوا .

(تهم بضربه ولكنه يلوح بعصاه) .

- سافل . . (ثم تغير لهجتها فجأة إلى نبرة أفعوانية خبيثة) . . ع العموم إنت اعترفت من لحظة إنك كنت بتبحلق فى صورى العريانة فى الحيطان زى الرجالة إياهم زباين المبولة . . كل الفرق إنك مش لاقى غير الصورة . . ومش طايل النسخة الأصلية يا شيخ يا خباص .
- الحمد لله اللى شفتينى على حقيقتى وعرفتى إنى شيخ خباص ، وعرفتى إنك غلطانة وإن مفيش هنا حد مبروك

ولا صاحب كرامات ولا صاحب فتوحات . . أظن بقى كل واحد منا يتطرق لحال سبيله . . (يستدير داخلاً إلى كوخه) عن إذنك . . سلام عليكم .
- (تمسك به من ظهره وتشده) إيه رايح فين . . تعال هنا يا شيخ يا خباص . . ما دمت سافل زيى حاتهرب منى ليه ؟
- (مستمرًا فى دخوله دون أن يلتفت إليها) ومين قال إنى سافل زيك . . أنا سافل صحيح لكن مش زيك . . أمثالك من السفلة هم سلطان والغرباوى والتابعى وأبو حلموس وغيرهم وغيرهم .
- آه . . وعرفت أسامى عشاق الخصوصيين كمان . . أظن حاتقول قريت أساميهم ع الحيطان وفى دكان الحلاوة الطحينية إياه اللى بتاخد منه تموين الزيت والسكر . مدد يا شيخ طنطاوى . . أبو حلموس ما عرفتوش إلا امبارح ومفيش حد يعرف بعلاقتنا غير ربنا . . دى كرامة . . ده انت ولى بصحيح . . مدد يا سيدى إبراهيم يا طنطاوى .

(الشيخ ما زال يعطيها ظهره ويصر على الدخول فى حين هى تتشبث به وتولول وتخر راكعة عند قدميه) .

- إنت قطب الزمان بعينه . . سامحنى يا مولانا . . اعف عنى . . اصفح عنى . . أبوس رجلك . . ما تسيبنيش

أرجوك . .

(يستدير الشيخ اليها ويرفعها بعنف من الأرض) .

– قومى يا ولية كفاية مسخرة . . إنتى عاوزه منى إيه . . مش مكفيك الرجالة اللى حواليكى . . مش مكفيك مليون مغفل بيصقفوا لك . . ومليون ترانزيستور بيهتف باسمك .

– صحيح مليون مغفل بيتمنوا كلمة من شفايفى . . لمسة من إيدى . . إشارة بصباعى . . صورة عريانه عليها توقيعى الشريف . . صحيح أنا عندى المال والشهرة والدنيا . . لكن نفسى أملك المستقبل . . نفسى أملك مفاتيح الغيب . . ولو مفتاح واحد من المفاتيح اللى عندك .

– مفاتيح الغيب عند الفتاح .

– حاعرض عليك صفقة مغرية . . حأديك حلم المليون معجب حلال بلال بين أحضانك (تفتح ذراعيها وتمد شفتيها وتتحسس صدرها لتروج البضاعة) وتدينى مفتاح واحد من مفاتيحك .

– أبيع الذهب بسعر التراب .

– جسمى ده تراب . . بص كويس . . فتح عينيك .

– جيفة .

– ألمس الجيفة (تأخذ يده وتمررها على خدها ورقبتها وصدرها . . يترك

يده فى لا مبالاة واضحة . . ثم يحاول أن ينزعها فجأة كأنما لدغته أفعى) .

إيه خفت ليه . إنت بتحط إيدك كطبيب للتشخيص . . هو الطبيب بيزنى لما بيكشف ع اللحم العريان . . إيه رأيك فى الليونة والطراوة دى . . إيه رأيك فى الملمس الرطب المنعش . . شم الجيفة اللى بتقول عليها . . شم سحابة البارفان اللى طالعة مع كل نفس باتنفسه . . شم يا شيخ يا مغفل .

(الشيخ يدفعها فجأة بيده فتكاد تقع على الأرض) .

– ابعدى عنى يا ولية .

– آى . . كسرت لى رجلى . . إنت إيه . . اتجننت .

– أعوذ بالله السميع العليم من كل شيطان رجيم . . أستغفرك يا رب وأتوب إليك .

– أحلف بإيه إن الصفقة حليت فى عينك وطيرت لك عقلك . . (تضحك فى إغراء) أنا عاذراك الصفقة دسمة ومغرية جدًّا . . . عصفور فى اليد يا سيدنا الشيخ ولا عشر حوريات فى الجنة .

– (فى جنون وهو يسحب عليها عصاته) اتجرّى من قدامى يا ولية . . مش عاوز أشوف خلقتك قدامى لحظة واحدة .

- (تمثل عليه) يا دهوتى . . هربت دمى . . قلبى وقف . . آى . . شوف نبضى . . عندى سكته . . الدنيا بتلف بى . . الحقنى بشربة ميه .

(يجرى الشيخ بسذاجة إلى زير بجوار الكوخ ويملأ كوزًا من الصفيح بالماء ويعود به) .

- (تضع الكوز على فمها ثم تبصق) إيه القرف إللى بتشرب منه ده . . دى بلهارسيا وانكلستوما وملح إنجليزى وزيت خروع ومية مجارى . . إف أعوذ بالله . . إزاى بتشرب من كوكتيل البلاوى ده .
- (الشيخ مبهوتًا) ده زير طاهر يا ولية .
- طاهر إيه يا شيخ . .

إيه رأيك أجيب لك م العربيه مشروبات . . قصدى مشروبات طاهرة برده . . ينسون مثلج . . وعرقسوس . . وكروية . . وحلبة . . مشروبات شرعية كلها على ضمانتى نشرب لنا كاسين فى ساعة العصارى الحلوة دى ونفكر فى الصفقة . . صدقنى الصفقة دى مهمة جدًا وما يصحش تبت فيها بسرعة . . نص دقيقة وأرجع لك . . استنانى .

(تنفلت مسرعة وتختفى من المسرح) .

(على حين نرى الشيخ يخر راكعًا ويحسو على وجهه التراب مستغفرًا باكيًا فى تضرع) :

- ربى . . مولاى . . إلهى . . ملكى . . منقذى . . مخلصى . . سندى . . قوتى . . صخرتى فى الأمور الشداد . . اصرف عنى البلاء ونجنى من الشيطان الرجيم . . اغفر لى خطيئاتى . . إلهى . . ملكى . . معبودى .

(صوت سونيا من بعيد)

- بتنادى علىّ يا شيخ طنطاوى
- اسكتى يا ولية .
- هم كمان بينادونى : يا معبودى يا مليكتى يا مولاتى .
- هم مين يا ولية ؟
- المريدين .
- الشياطين . . الكلاب . . ارجعى لهم . . إنتى منهم . . مش عاوز أشوف وشك هنا أبدًا . . (ساقطًا على وجهه من جديد يستغفر) . . مولاى اصفح عنى . . إلهى . . اغفر لى خطيئاتى .
- أنا جايه حالا يا حبيبى ما تعيطش . . قطعت قلبى .

(تراها داخلة المسرح فى مايوه عليه ثوب بلاج وتحمل فى يدها شمسية بلاج وكراسى وصندوق مرطبات) .

(الرجل الصوفى ينظر إليها وقد فغر فاه . . فى حين هى تبدأ فى فرد الشمسية وتثبيتها . . فى سرعة دون أن تلتفت إليه . . تضع الكرسيين ثم مائدة من القماش . . ثم تفتح الصندوق وتخرج زجاجتين من التمر هندى . . تسرع إليه بواحدة) .

– تمر هندى وحياتك . . جلاب ميه فى الميه ولا نقطة سبرتو . . اشرب وادعيلى . . إيه مالك واقف مكشر كده زى بومه فى خرابه .

– أنا مش عاوز أشرب ومش عاوز أشوف وشك هنا وإن ما غورتيش فى ستين داهية أنا حاكسر المولد اللى عملتيه ده كله .

– طيب اهدا بس اهدا . . صبرك بالله . . الحلم سيد الأخلاق . . اقعد لحظة نتكلم . . نتفاهم . . خد شفطة من التمر هندى برد قلبك . . ليه التزمت السخيف ده . . ليه تنفرنى من الصلاح بالخشونة والغلظة دى . . ليه ما تكسبنيش لصف التوبة بالإنسانية والمودة . . صدقنى أنا زهقت م الهلس ونفسى أرجع لحظيرة الفضيلة . . لكن مش بالأسلوب المنفِّر ده .

(يجلس متهالكًا . . ثم يغمغم مشيرًا الى لحمها الظاهر من ثوب البلاج) .

– ترجعى لحظيرة الفضيلة بالـ . . مايوه . . إزاى . . .

– خطوة خطوة يا حبيبى . . مش معقول حاتخدنا للتوب

الشرعى دفعة واحدة . . والا مش حاتلاقى حد يمشى وراك . . الدنيا اتغيرت . . وانت عايش فى القرن العشرين .

– وأنا مالى يا ستى ومال القرن العشرين . . أنا سبت لكو القرن العشرين . . وجيت أعيش هنا لوحدى فى القرن الهجرى . . واللى عاوزنى يجينى هنا فى القرن الهجرى .

– مش معقول يا سيدنا الشيخ ده مشوار طويل علينا خطوة خطوة . . إنت عارف الدنيا جرى فيها إيه . . رحت مرة إسكندرية . . شفت أكوام اللحم العريان ع البلاج . . دى حاجة بتحصل دلوقت فى أحسن العائلات . . ويمكن تلاقى لك أخت والا بنت عم بين العرايا .

– اخرسى يا ولية .

– خرست . . لكن خرسى مش حايحل المشكلة .

– أنا سبت لكو المشكلة . . وسبتو لكو خرابة القرن العشرين اللى ساكنين فيها . . وبنيت لى هنا عمار جميل مع ربى . .

– **(فى دهشة وهى تلتفت حولها)** عمار . . فين هو العمار ده

– عمار القلب يا ولية .

– آه . . لكن ده عمار مش حايقنع حد . . عمار ما حدش شايفه . . اللى شايفينه إنك فى مزبلة ما يرضاش بيها

كلب .

– ما يهمنيش حد .

– والدين قال لك انقذ نفسك ولا يهمكش حد .

– أعمل إيه . . بح صوتى وما حدش عاوز يسمعنى .

– انزل للناس .

– نزلت لهم طردونى .

– خد بإيدهم يطلعولك .

– خدت بإيدهم كسروا إيدى وزقلونى بالطوب وما حدش فكر يطلع معايا .

– أبدًا . . أنا طلعت لك النهارده وكرشتنى بالنبوت .

– لأنك عرضت على صفقة قذرة .

– (تضحك وتقهقه) أبدًا صدقنى كنت بضحك . . كانت نكته لبداية التعارف وطرح الكلفة . . صدقنى أنا جيت هنا عشان أغير حياتى كلها .

– فى الحالة دى تبقى لنا نظرة ثانية .

– آى والله أنا نفسى (بدلع) فى نظرة ثانية .

– أنا بتكلم جد . .

– وأنا بقول جد . . نظرة يا شيخ طنطاوى .

– يعنى لازم تثبتى حسن نيتك الأول بخلع الملابس المتهتكة دى .

– فوراً .

(تقف لفورها وتبدأ فى خلع ثوب البلاج والمايوه على حين يصرخ الرجل الصوف ويدير وجهه) .

– يا حفيظ . . يا لطيف . . أعوذ بالله .

– إيه . . إنت مش قلت نقلع الملابس المتهتكة دى .

– أنا ما كملتش كلامى يا ولية . . أنا قلت تقلعى الملابس المتهتكة دى وتلبسى هدوم حشمة .

– فى الحر ده يا برهومى

– يا إيه ؟

– يا برهومى . . اظرف من الشيخ إبراهيم طنطاوى . . اسمك كبير أوى . . بيعمل لى زغطة . . طنط . . طنط . . طنط . طنط . . طنطاوى .

– يا سيدة سونيا من فضلك .

– يا إيه . . يا سيدة . . دى كلمة زى الضريح . . أرجوك ما تحطش زباينك فى أضرحة من أول يوم . . ابتدى بالبساطة ورفع الكلفة . . قول لى يا سنسونى وأنا أقول لك يا برهومى .

– سنسونى . . ! ! ؟ اسمحى لى فى التعبير . . ده أسلوب للتنادى فى الفراش .

- لا . . لا . . لا . . لا . . عيب اخص عليك . . اسمح لى يا سيدنا الشيخ إنت خيالك سافل جدًّا . . أراهن إنك تخيلتنى فى حضنك . . اعترف . . أنا أحب الصراحة صحيح إنت راجل طاهر الأفعال لكن سافل الخيال . . سافل من جوه . . اعترف . . أرجوك . .
- أعترف إن قلبى لا يخلو من الزيغ أحياناً .
- الزيغ . . كلام جميل أوى يا سيدنا الشيخ . . أنصحك بقى ما دام قلبك زاغ تبقى تزوغ إيدك وتزوغ عينك يبقى أشرف لك على الأقل . . يبقى قلبك زى فعلك . . مفيش كذب . . مفيش نفاق .
- لأ ده مش صحيح . . الإنسان بحكم كونه روح وجسد له طبيعتين متنازعتين ، ولا يطعن فى صدق الإنسان أن يعانى جذب الشهوة وجذب العفة فى وقت واحد لأن هى دى حقيقته . . أما الاستجابة لسفالة القلب بسفالة اليد بحجة الصدق فهى مغالطة شيطانية . . والإنسان اللى يقاوم نوازعه الشريرة هو على الأقل إنسان ترجى نجاته وفيه أمل منه . . أما الإنسان اللى يستجيب لكل وسوسة بفعل فورى . . فهو إنسان انضم إلى زمرة الحيوان وانتهى أمره . . ولا صدق فى الموضوع . . وإنما غفلة

واستغفال . . واحنا بنى آدمين مش ملايكة . . الملاك هو الوحيد الطاهر من جوه ومن بره لأنه من نور . . أما احنا فمن الطين . . ظلمانيين ونورانيين فى وقت واحد .

(طول الوقت كانت سونيا تستمع إلى الشيخ فى اهتمام وانبهار وهى ترد كالمأخوذة) :

- الله . . فلسفة لطيفة . . أول مرة فى حياتى واحد يكلمنى فى فلسفة دينية . . يا سيدنا الشيخ أنا معجبة بيك جدًّا . . والظاهر إنى حاحبك يا برهومى وحانضم لحزبك . . خد شفطة من الجلاب رطب حلقك .
- سيبك من حكاية برهومى دى .
- يا شيخ ما تبقاش حنبلى وافرد التكشيرة دى وقول يا باسط . . لو جيت لنا فى البلاتوه حاتسمعنا ننادى بعض سوسو وبوسو وتوتو وكوتوموتو ، ونبوس بعض ونحضن بعض كده بمنتهى البراءة . . الواحدة منا تبوس الواحد فى بقه وكأنها بتشرب حاجة ساقعة أو بتقزقز لب . . حياة سبور مفيش عقد ولا كبت . . تفتكر بوسه زى دى تدخل عندك فى بند الحرام .
- تدخل عندى فى بند أسوأ من بند الحرام ، هو بند الهوان

الكامل والبهدلة والرخص لأشياء عزيزة وجميلة . .
أنا رأيى أن القرود حالهم أحسن منكم . . على الأقل بيفرقوا بين الحب وبين قزقزة السودانى . . ليه عندهم متعة بيتقاتلوا عليها .
– معاك حق . . تعرف إنى ما بقيتش ألاقى متعة فى أى حاجة وعشان كده جيت لك (تميل عليه بطريقة حميمة) ، تفتكر يا سيِّدنا إنى لو غطيت جسمى ولبست حسب الشرع ومشيت على دستورك فى العبادة والطاعة ممكن ترجع لى المتع الملتهبة بتاع زمان .
– المتعة . . المتعة . . المتعة . . إنتى مفيش حاجة عندك غير المتعة . . شوفى يا ست إذا كان مالكيش هدف فى الدنيا غير المتعة ، شوفى لك مرشد غيرى . . أنا راجل دين مش سمسار متع .
– بقى بصراحة كده أنا بفكر فى كل حاجة بطريقة عملية . . وأنا هدفى من الدنيا الانبساط . . وربنا خلقنا فى الدنيا عشان ننبسط ونتمتع . . خلق لنا الأكل عشان ناكل مش عشان نجوع . . والاّ إيه ؟
– بالعكس تمامًا . . ربنا خلق لنا شهوة البطن عشان نقاومها ، وخلق لنا شهوة الجنس عشان نحكمها . . ربنا

خلق لنا الجسد زى السلم عشان نقهره ونطلع عليه .
– نطلع نروح فين ؟
– نؤكد وجودنا كأرواح جديرة بالخلود لا كأجساد فانية تستعبدها الشهوات .
– مش فاهمة . . المرة دى فلسفتك صعبة شوية يا سيدنا الشيخ .
– يعنى الإنسان ما يبقاش إنسان إلا لحظة ما يقاوم شىء بيحبه أويتحمل شىء يكرهه . . أما حالة الاستسلام لكل نزوة فهى دى الآلية الحيوانية . . السباح بيأكد إرادته لما يعوم ضد التيار . . أما إللى بيستسلم للتيار يوديه مطرح ما يوديه بيبقى كيان ميت . . مفيش فرق بينه وبين لوح خشب عايم ع الميه . . الإنسانية مقاومة وعمرها ما تكون استسلام .
– كلامك فى الفلسفة لذيذ يا سيدنا الشيخ بس يا خسارة كله كلام نظرى .
– يعنى إيه ؟
– يعنى مش فاهمة . . يعنى نفسى تديني درس عملى عشان أفهم أكتر .
– إزاى يعنى ؟

- يعنى تديني درس فى الحب ع الطبيعة كدة . . درس مشفوع بالأمثلة على الواقع عشان أقتنع أكتر . . يعنى مثلاً نجرب الحب مع الفلسفة والحب بدون فلسفة . . ونجرب القبلة بدون مقاومة . . والقبلة مع المقاومة . . نحاول احنا الاثنين نقاوم الجنس عشان نأكد روحنا . . ونحاول مرة ثانية إن احنا ما نقاومش . .
- (فى غيظ) انتى حيوان مفيش فايدة فيه .
- (فى دلع) لكن بالذمة مش حيوان ظريف . قطة رومى مدلعة ومتربية ع الحجر . . بالذمة مش نفسك تدلعنى وتسرح لى شعرى ؟
- إه ؟
- وتأكّلنى بإيدك ؟
- إه . . ؟ يا خبر إسود . !
- ده خبر إسود ده . . !
- ده خبر زفت هباب قطران . . انتى مصيبة . . كارثة . . وباء معدى . . شيطان رجيم . . أعوذ بالله . . ابعدى عنى يا ولية .
- حلمك علىّ لحظة . . ادينى فرصة . . حاول تفهمنا احنا يا ستات . . مفيش واحدة ست مستعدة تسمع كلام

أينشتين اللى بتقوله ده . . ولا حاتلاقى واحدة توجع دماغها بالفلسفة بتاعتك دى . . الستات يحبوا يتكلموا فى حاجات عملية مفيدة .
- زى إيه ؟
- الموضات الجديدة ، صينية كوسه بالبشاميل ، طقم شاى ، سجاجيد شنوا ، ماركات عربيات ، عريس لقطة رانديفو ، تسريحة شعر . . بارفان جديد . . فضيحة مثيرة . . المهم حاجة عملية . . لذة محسوسة . . مش نظريات فى الهوا . . ووجع دماغ ع الفاضى .
- يعنى عاوزين منا إيه . . ؟
- يعنى أنا مثلاً عاوزة أعرف حايجرى إيه لو بستك فى بقك كده .

(تنقض عليه وتخطف منه قبلة . . ثم تعود فتنقض لتأخذ قبلة طويلة فينتزع نفسه منها وينتفض قائماً وهو يمسك رأسه من الدوار) .

- يا رحمن يا رحيم . . يا رحمن يا رحيم . . يا حفيظ . . يا لطيف . . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . . أعوذ يا الله .
- مالك يا برهومى . . دخت يا حبيبى . . أجيب لك نشادر .

– غورى من وشى يا ولية . . إنتى عاوزة منى إيه (يصرخ) عاوزة منى إيه . . ؟

– عاوزة الصراحة ؟!!

– أرجوكى .

– الصراحة الصراحة ؟!!

– أيوه الصراحة الصراحة .

– حاكشف لك ورقى وأحكيلك مشروعى كله امبارح كان عيد ميلادى الثلاثين فكرت أقعد مع نفسى قعدة صراحة وأفاتح نفسى بكل شىء وأحاسب نفسى على كل يوم عشته .. وكانت مفاجأه .. اكتشفت إنى فشلت فى كل شىء .. فشلت فى الحياة ، فشلت فى الحب ، فشلت فى الزواج برغم المليون راجل اللى بيصقفوا لى ، والمليون ترانزيستور اللى بتهتف باسمى ، والمليون جنيه رصيدى فى البنك ، برغم النجاح والشهرة والمجد والفلوس ، اكتشفت إنى فى الحقيقة بعيش حياة سخيفه مالهاش طعم . حياة كلها كدب فى كدب . . ساعتها فكرت إنى أطلب الخلاص عندك . . أسيب الشهرة والمجد وأجى لك فى الخلوة اللى أنت عايش فيها . . وأسلم لك نفسى تطهرها بطريقتك .

– وعشان كده جيتى . .

– جيت لقيت راجل ما بيفكرش فى أى حاجة غير تخليص نفسه . . وحيد زى بومه فى خرابة ما عندوش ميه يستحمى ولا ميه يشرب ولا فى بيته كهربا ولا راديو ولا تليفزيون ولا تليفون ولا حتى حنفية ميه ولا سرير ولا حتى تواليت للضرورة . . أقولك الحقيقة . . . صدمتنى .

يعنى مفيش خلاص إلا بالقذارة ؟ . .

يعنى مكتوب على الخطيئة إنها تعيش فى قصور البنور والكرستال ومكتوب على الفضيله إنها تعيش فى جحور الطين ؟ . .

– اسمحى لى أشرح لك .

– اسكت أرجوك . . أنا عارفة أنك حاتبرجلنى بالكلام الهيروغليفى بتاع أينشتين بتاعك . . وأنا مش فاضية للفلسفة والنظريات . . أنا واحدة ست عملية وفى جيبى مشروع جاهز للتنفيذ فوراً . .

– ادينى فرصة أوضح .

– هس . . اسمع قراراتى النهائية وما تفتحش بقك .

(تخرج من جيبها ورقة وتقرأ) :

قرار رقم (١) – إدخال النور والمية والراديو والتلفون والتلفزيون إلى مزبلة الشيخ طنطاوى فوراً ، وذلك على حسابى الخاص .

قرار رقم (٢) – يأخذ الشيخ طنطاوى مفتاح عوبتى ودفتر شيكاتى وتوكيل كامل شامل للتصرف فى جميع عائداتى المالية وإنفاقها على الدعوة لمبادئه كما يشاء .

قرار رقم (٣) – تهدم الخرابة التى يعشش فيها الشيخ طنطاوى مع الوطاويط والخنافس وتردم محتوياتها فى حفرة .

قرار رقم (٤) – تنصب عدة خيام جديدة عصرية مكانها مزودة بكل وسائل الراحة .

قرار رقم (٥) – على الشيخ طنطاوى أن يتسلم مهام منصبه اليوم كمرشد روحى للست سونيا وفرقتها التمثيلية ليعيش من هذه اللحظة للآخرين لا لنفسه . . وعلى جميع أفراد الفرقة طاعة أوامره بلا نقاش وبلا مراجعة . .

قرار رقم (٦) – على الشيخ طنطاوى أن يخلع الخرقة المرقعة القذرة التى يلبسها ويرتدى زى عصرى مناسب لدوره القيادى فى فرقة سونيا المسرحية .

قرار رقم (٧) – تعتبر هذه القرارات شاملة النفاذ والتحقيق

فور النطق بها بقوة الحب وسلطة القانون والعقل والمنطق التى تأمرنا جميعاً بالنظافة والتمدن .

(الشيخ طنطاوى يصرخ محتجاً) :

– أنا أرفض هذا الانحطاط .

سونيا – (فى استنكار) انحطاط . . بتقول انحطاط .

– أيوه بقول انحطاط .

– نور الكهربا فى البيت انحطاط .

– نور القلب أهم .

– وإيه المانع يكون عندك نور فى القلب ونور فى البيت ؟

– يا ريت بس ندفع الفاتورة من مال حلال . . أما إذا كان مفيش مال يبقى ننام فى الضلمه أحسن ما ننور البيت من عرق الست سونيا .

– عرق حبيبتك سونيا من الحلال وحياتك . . ومن عين الحلال .

– من عين بيشرب منها الخنازير .

(تنزل فيه ضرباً ولكماً وشلاليت وهى تبكى من الغيظ)

– سافل . . منحط . . مجرم . . ليه تكسر قلب ولية غلبانة عاوزة تتوب . . ليه تقفل فى وشها باب الرحمة ؟

– عشان هى عاوزة تفتح فى وشى باب جهنم .

- أبدًا أنا جاية أحط عمرى كله تحت تصرفك . . أحط قلبى تحت أمرك . . أحط إرادتى تحت رجليك (تعلق برقبته متوسلة) قول لى إنك حاتساعدنى . . قل لى إنك قبلتنى عندك .
- متأسف . . أنا رافض .
- (تسد فمه بيديها) إنت حاتقبل غصب عنك .
- (يحاول أن ينزع يدها) أنا أرفض إنى آخد مليم من فلوسك اللى جمعتيها م الدعارة .
- (تسد فمه بقوة) حاتقبل . . حاتقبل يا برهومى يا سافل لأنك سافل الخيال . . حاتقبل لأنك بتتمنانى فى أحلامك وإن كنت بتشتمنى فى يقظتك . . حاتقبل لأنى أنا عروسة أحلامك . . أنا سنسونتك وبسبوستك وقطقوطتك وشهوتك ووسواسك اللى بيلعب فى عبك بالليل والنهار . . أنا الحيوان الجميل اللى مخبيه تحت العر المرقع إللى انت لابسه . . تحت جلدك وعظمك يا شيخ يا خباص . . تحت لسانك إللى حاياكله الدود . . أنا عقلك الباطن بكل رغباته القذرة . . أنا غريزتك المغروسة فيك . . مش حاتقدر ترفضنى ولا تنزعنى من

دمك ولحمك . . مش حاتقدر تسلخنى من جسمك لأنى حته منك . . لأنى حقيقتك .

طنطاوى: (وقد بدأ عقله يتوقف تحت ضرباتها المستميتة وبدأت قواه تفلت منه)

أنا . . أنا . . لأ . . لأ . . أرجوكى .

- (تطوقه بذراعيها) حاتقبل لأنى بحبك . . باعبدك لأنك أملى الباقى وخلاصى الوحيد . . لأنك حياتى ونجاتى لأنك شباك التوبة إللى حابص منه للسما . . وأنا باب اللذة إللى حاتدخل منه لجنة الأرض . . أنا صندوق الدنيا وعلبة الملبس . . وكنز الجوهرات . . أنا سونيا .
- أنا ما تحكمنيش امرأة . . مستحيل . . مستحيل . .
- (ما زالت تطوقه) كل الرجالة بتحكمهم الستات . . احنا دايمًا إللى بنحكمكم . . بالحب بالجنس بالقبقاب بالفلوس بالاستغفال بالاستحمار بالاستهبال . . وأنا عندى جميع الأسلحة دى . . وانت عبدى وسيدى وحبيبى ومولاى وسجينى زنزانتى . . برهومى . . معشوقى . . مالكش مهرب منى ولا نجاة ولا فرار .
- (يقضم على شفتيه وأسنانه) حاهرب .
- (وهى تطوقه بذراعيها) إزاى ؟

- (وهو يرتجف) حاهرب .
- مش حاتقدر تهرب منى . . لأنى فيك . . فى دمك . . أنا بجرى فيك مجرى الدم . . أنا نبضك . أنا قلبك .
- (وهو يرتجف) حاوقف نبضى حاتخنق قلبى .
- إزاى ؟
- (يصرخ باكياً) يا ربى . . ليه خلقتنى ضعيف . . ليه خلقت لى الفتنة وسلطت علىّ الإغراء .
- اسأله ليه خلقت سونيا . . ليه خلقت خدود التفاح وشفاه الكرز ونهود المرمر .
- (يرتجف) سونيا .
- حبيبى . . أملى . . حياتى . . نجاتى .
- هلاكى ولعنتى وضعفى .
- أبداً . . أنا نشوتك وأنسك وراحة قلبك .
- أبداً . . إنت ضياعى . . وانحطاطى .
- حبيبى برهومى . . ما تفكرش . . انسى كل حاجة . . احلم زى ما كنت بتحلم وانت نايم نعسان بتفكر فىّ .
- سونيا .
- أنا سونيا . . خدامتك وجاريتك .
- (ينهار على صدرها) سونيا .

- أنا سونيا . . ألذ سونيا . . أنا الدنيا
- (يقبلها) سونيا .
- البوسة دى معناها إنك مضيت على المشروع . . وبكرة لابد من تنفيذ جميع البنود .
- (يقبلها) سونيا .
- سونيا فى خدمة مبادئك . . كل فلوسى رهن إشارتك . . كل ما أملك تحت تصرفك .
- سونيا .
- كل فرقة سونيا تحت أمرك . . إنت من بكره مرشد الفرقة الدينى واحنا جميعًا طوع أمرك .
- تطاوعينى يا سونيا ؟
- بدون مناقشة يا حبيبى .
- مهما طلبت .
- ولو طلبت روحى .
- هى روحك اللى عاوزها . . عشان أغيرها .
- اطلبها تلاقيها بين إيديك . . آمر ؟
- فى الحقيقة مش عارف مين اللى حايأمر . . مين حايكون الآمر ومين المأمور . . دى هى المشكلة .
- خلى المشاكل لوقتها . . ما تستعجلش . . خلينا نعيش

لحظة بلحظة . . إحنا ورانا إيه . . ؟ !

تلتقى شفاهما فى قبلة .

ينزل الستار على القبلة فى بطء .

الفصل الثانى

(صحراء . . نهار

نفس مكان المشهد الأول لكن يد البناء والتعمير قد أشادت من الخراب شيئاً آخر . . هناك وابور نور وماكينة لضخ الماء وأكشاك وخيام جديدة نظيفة مزودة بكل أدوات الرفاهية الحديثة . . مئذنة جامع على البعد . .

فى الوسط وفى مقدمة المسرح خيمة على طراز عصرى أمريكى من الحرير الملون هى خيمة الشيخ . . تتدلى فيها الثريات الكريستال وعلى الأرض سجاجيد وطنافس وأثاث فاخر من الخشب المطعم بالصدف . . تليفزيون وتليفون وفريجيدير وراديو) .

(حينما يبدأ المشهد تكون الخيمة خالية . . ويكون المسرح خاليًا باستثناء بعض عمال تراهم فى الخلفية يبنون ويشيدون ويمدون أسلاكًا . . ونسمع صوت مطارق تعمل) .

(ثم يدخل عدد من الدراويش الفقراء كل منهم يحمل زاده على ظهره . . هم أحمد وعيسى وزكريا ويحيى وإسماعيل وإدريس . . يتلفتون حولهم فى استغراب . . يحومون حول الخيمة . . يسأل بعضهم بعضًا) .

زكريا : عجيبة . . . احنا فين . . احنا تهنا وإلا إيه . .

عيسى : مش ممكن نكون تهنا . . أنا عارف الصحرا دى شبر شبر .

إدريس : وهى دى أول مرة نيجى . . ؟ دحنا كل سنا بنيجى للشيخ . . حانتوه عن مكانه إزاى . . ؟!!

إسماعيل : طيب هو فين ؟

يحيى : صحيح هو فين ؟

عيسى : أنا أحلف إن عشة الشيخ مطرح ما أنا واقف . . أنا ذاكرتى ما تخونيش .

أحمد : أمال هو فين ؟

زكريا : وإيه المناظر والتعاليق دى ؟

عيسى : العلم عند الله . . كل شىء بيتغير فى الزمن النكد ده . . كل شىء بيتقلب حاله .

زكريا : قصدك إيه ؟

عيسى : قصدى جايز يكونوا طردوا الراجل الغلبان عشان يبنوا مدينة سياحية أو (يتلفت حوله) أو سيرك أو مدينة فنون . . من الحاجات الموضه اللى بنسمع بيها دلوقت .

إسماعيل : (فى بساطة وسذاجة وانفعال) وفيه حد يقدر يطرد الشيخ طنطاوى قطب الزمان وخاتم الأوليا .

إدريس : والعارف الربانى .

أحمد : والمعدن الصمدانى

يحيى : والغوث

إسماعيل : وبرزخ البرازخ .

إدريس : وفريد عصره ووحيد دهره .

عيسى : العصر دلوقت غير العصر يا خال والدهر غير الدهر والزمان غير الزمان وشيخنا راجل طيب مسالم . . وأرض ربنا واسعة . . والله جعل لنا الأرض كلها مسجدًا . . تفتكر الراجل حايقوم الدنيا ويقعدها لو طردوه . . أبدًا . . حايشيل زاده وزواده ويرحل

إسماعيل : لا إله إلا الله .

زكريا : وحايرحل يروح فين ؟

عيسى : علمى علمك

(يدخلون الخيمة الحريرية الفاخرة . . يتلفتون حولهم فى انبهار) .

إدريس : إيه دى . . كل دى خيمة . . دى خيمة عجيبة أوى يا سيادنا .

عيسى : وحاطينها مكان خيمة الشيخ بالضبط .

(يتحسسون السجاجيد والطنافس ويفتحون الراديو والتليفزيون ويجربون كل شىء فى فضول وطفولة) .

إدريس : دى خيمة ملوكى . . كل حاجة هنا ملوكى يا سيادنا

(يجلس على كرسى من القطيفة ويضع ساقًا على ساق ويضع صرة طعامه على كرسى آخر . يمد يده إلى دورق فيه شراب مثلج إلى جواره ويكرع

عدة كرعات من الشراب وهو يمصمص فى طرب) الله . . ده شراب مادقتش زيه فى حياتى . . ده شراب من الجنة يا شيخ أحمد .

أحمد : (يذوق جرعة من الشراب) الله . . ده شراب تفاح .

يحيى : (يكرع كرعة هو الآخر) لا ده شراب لوز .

إسماعيل : (يشرب هو الآخر) لا ده شراب ورد .

(يتمددون كل واحد على كرسى فى استمتاع وانبعاج) .

عيسى : (يضربهم بمقرعة فى يده) شربتم شراب المترفين وجلستم جلسة المترفين . . هلكتم يا أبناء الأفاعى . . قوموا . . هبوا من غفلتكم . . غادروا هذا السجن . . ما لهذا جئنا .

(ينتفضون واقفين واحدًا بعد آخر) .

إسماعيل : آى والله سجن . . دنا حسيت من لذة الكرسى إنى مسمر فيه . . مشلول تمام . . مش قادر أسيبه . . أعوذ بالله م الفلوس . . دنا اتهيأ لى إنى ملكت الكرسى . . أتاريه هو اللى ملكنى . . يا ساتر يا رب .

عيسى : هكذا عروش الملوك يستولى عليها الملوك فى البداية ثم تستولى عليهم فى النهاية . . وهكذا المال تظنه فى البداية خادمك ثم تكتشف فى النهاية إنك خادمه .

إسماعيل : صدقت . . الدنيا سجن المؤمن .

يحيى : . . وجنة الكافر .

زكريا : أعوذ بالله من سوء الخواتيم .

أحمد : اللهم أحينى فقيرًا وأمتنى فقيرًا واحشرنى فى زمرة المساكين .

عيسى : إن كل ما على الأرض من شراب اللوز والتفاح والورد لا يعدل فى لذته لحظة واحدة من سكينة القلب . . صدقونى يا إخوانى . . لو عرف الملوك ما نحن فيه من لذة لقاتلونا عليها بالسيوف .

أحمد : مدد يا شيخ طنطاوى مدد .

ادريس : يا دليل الدليل دلنا على أرض الخليل .

يحيى : نظرة يا سيدنا نظرة .

إسماعيل : يا باب النبى . . يا باب الفتوح .

زكريا : (فى قلق) الوقت بيمر والشمس حاتغرب علينا ومش حانلاقى مكان نبات فيه .

أحمد : قلبى بيقول لى إننا حانلاقى الشيخ هنا وإنه مش بعيد .

عيسى : ما افتكرش . . أنا عارف طباعه . . هو ما يحبش الترف ولا المترفين وما يحبش يعشش جنبهم . . ويهرب من الأغنيا هربه من المجذومين .

زكريا : ربنا يسوق لنا من يدلنا عليه .

(يدخل الشيخ طنطاوى فى نفس اللحظة من باب خلفى فى الخيمة فى بدلة كحلى فاتحة أنيقة وكرافته حمرا حليق تمامًا وشعره مكوى مرجل . خدوده موردة من الطعام الجيد).

(يدخل منكس الرأس مستغرقًا فى التفكير)

(لا يعرفه أحد من أتباعه ومريديه).

(يتقدم منه زكريا فى وجل)

زكريا : لا مؤاخذة يا حضرة الأفندى إذا كنا دخلنا هنا بدون استئذان.

(ينظر إليهم الشيخ طنطاوى . . يبهت وجهه لحظة . . لقد عرفهم من أول نظرة ولكنه كتم أمره).

زكريا : لكن معانا عذرنا أصل ده مكان خلوة الشيخ طنطاوى . . شيخنا اللى بنجيله كل سنة . . لكن الظاهر الدنيا اتغيرت . . والحال بقى غير الحال . . وشيخنا شال عزاله ورحل . . لازم حضرتك عندك خبر بيه . .

يحيى : دلنا عليه ربنا يفتح عليك .

(عيسى يقترب ويتفرس فى وجهه)

عيسى : (فى دهشة) عجيبه . . ده انت الخالق الناطق . . كأنك أخوه من أبوه وأمه !

طنطاوى: هو يشبهنى ؟

عيسى : كأنك هو !

— إيه الفرق بيننا !

— هو شفاف زى شعاع الشمس صريح زى النهار فى يوم صيف ، قوى كما الصلب قاطع كما الماس .

— وأنا ؟

— معتم زى الأرض رخو كالعجين ملبد كجو الخماسين . . إنت راجل بيبدل جلده كل يوم زى التعبان . . إنت شخص من غير شخصية .

طنطاوى: (يلقى القنبلة) خيالك شطح بيك بعيد أوى المرة دى يا شيخ عيسى .

(ينتفض الشيخ عيسى من المفاجأة وقد اصفر وجهه تمامًا).

— مستحيل . . مستحيل ! !

— وليه مستحيل . . الشيخ طنطاوى بلحمه ودمه هو اللى واقف قدامك .

(يتجمد الدراويش من الذهول . . طوال الحوار التالى يظلون كالتماثيل يعبرون بإيماءات).

طنطاوى: (يمد يده لعيسى) سلِّم . . دى إيد الشيخ طنطاوى .

عيسى : (يرفض أن يسلم على اليد الممدودة) مش معقول . . أنا ما أعرفوش . . ولا أسلم عليه .

— وليه مش معقول . . وليه ما تعرفوش وليه ما تسلمش عليه .

- أصدق أن الهدوم تتغير.. لكن إزاى النفوس تتغير؟!
- ومين قال لك إن النفوس اتغيرت؟
- لا يمكن تكون الشيخ طنطاوى اللى أعرفه.. اللى ياكل من الأكل ده ويتقلب ع الحرير ده لازم يتغير.. المال غير قارون وجعل منه فرعون.
- لأنه وضع المال فى قلبه وضن بيه ع الجميع ولو حطه فى جيبه وفرقه ع الجميع لانقلب المال نعمة.. وديننا ليس ضد المال وإنما هو ضد الذل للمال.
- دى آراء جديدة على شيخنا.
- لكن آراء صحيحة.. ورسالتنا البحث عن الآراء الصحيحة وطلب الحق بكل سبيل.

زكرياء: (هامسًا) سبحان من يغير ولا يتغير (بصوت مرتجف) سبحان من يغير ولا يتغير.

عيسى: سبحان (متلفتًا) ده غيَّر حاجات كتيره أوى (يمر بيديه على جوانب الخيمة الحريرية) شايف الخيش بقى حرير إزاى بقدرة قادر يا شيخ زكريا.

زكريا: (يتحسس الخيمة) يا ترى خيمة مين الخيمة البديعة دى؟

طنطاوى: خيمتى.

عيسى: معنى كده إنك عمدة المولد ده أو السيرك ده.

طنطاوى: تقريبًا..
- وإنك تركت السلك الصوفى وهجرت الطريق.
- مطلقًا.. أنا ما زلت على عهدى.
- إزاى.. دى تبقى فزورة
- سليمان كان ملكًا وكان له هيكل من الذهب وخمسمائة زوجة ولم يحل هذا دون أن يكون نبيًا له عند الله الزلفى وحسن المآب.. السؤال هو ماذا تفعل.. وليس ماذا تملك.. أو هو على وجه الدقة ماذا تفعل فيما تملك.
- دى فوازير وألغاز.
- لقد كان إبراهيم أبو الأنبياء مالكًا لعدة ضياع وعدة ألوف من رءوس الأنعام.. ولكن عندما تطلب الأمر أن يذبح ابنه تقدم دون تردد ليذبح ابنه.. وحينما أوقد له الكفار نارًا ليلقوه فيها تقدم وألقى بنفسه فى النار دون خوف.. السؤال هو ماذا تفعل وليس ماذا تملك.. الغنى المستغنى مسلم أكثر من الفقير المحتاج.. إن خرقة الصوفى التى تلبسها لن تجديك نفعًا إذا كنت كذابًا منافقًا.
- هذا علم جديد أحب أن أتعلمه.
- ابق معى وأنا أعلمك.
- إزاى؟

– أنت مثقف وعندى لك وظيفة تناسبك .

– هى إيه ؟

– مدير بلاتوه .

– (فى استغراب) مدير إه ؟

– مدير بلاتوه بمرتب ٢٠٠ جنيه وعربيه وسواق تحت أمرك . . قلت إيه ؟

– وحاعمل إيه بالضبط فى الـ . . البلاتوه ده ؟

– تنفذ تعليماتى بدون سؤال وبدون مناقشة كعادتنا فى أدب الطريق . . حسب قانون السالكين المريدين مع شيخهم . . ألست مريدى وأنا شيخك ؟

– كنت شيخى فى الماضى . . أما الآن . . فأنا بصراحة أشعر أنى أمام رجل آخر لا أعرفه . . أشعر بالحيرة تمامًا . . لا أفهم ؟

– ألست مؤمنًا بالله وبالقدر . . ألا نصح ونمرض ونجوع ونشبع . . ألا يجرى الله علينا من الامتحانات ما يشاء . . ألا يبتلينا بالخير والشر . . ألا يدخلنا فى تجربة تلو تجربة .

– لا أفهم ؟!

– هى تجربة أدخلنى الله فيها وامتحننى بها ويدخلك فيها ويمتحنك بها . . أترفض . . أتستطيع أن ترفض . .

أتستطيع أن تغير ما خطه الله لنا فى الكتاب .

– حاشا لله . . ولكن لا يجوز لنا أن نرتكب خطيئة ثم نقول إن الله أمرنا بها .

– وهل أمرتك بخطيئة . . وهل أمرتك إلا بخير ؟

– ووظيفة مدير البلاتوه ؟

– هى أن تلبس للناس لبوسهم وتعيش حياتهم وتكلمهم بأسلوبهم . . لو كان مراد الله لنا هو العزلة لما أخرجنا من الأرحام ولتركنا معزولين فى بطون أمهاتنا . . علينا أن ننزل إلى الناس . . إن كلماتنا الجميلة فى الخلوة لا تصل إلى أحد .

حينما كان الناس فى الماضى يشتغلون بالسحر أرسل الله لهم موسى يخرج من العصا ثعبانًا ، وحينما اشتغلوا بالطب أرسل لهم عيسى ليشفى الأبرص ويبرئ الأعمى ، وحينما اشتغلوا بالفصاحة أرسل لهم من يتحداهم بالقرآن . . كان الله دائمًا يرسل للناس من يلبس لهم لبوسهم . . واليوم الناس يشتغلون بالسينما والمسرح والتليفزيون وليس أمام المصلح إلا أن يعمل فى البلاتوه .

– ولهذا نزلت إلى البلاتوه .

– أنا أدير كل مدينة السينما والمسرح المبنية على المساحة

الكبيرة خلفك وأشرف على كل ما يجرى فيها .

– عجيبة . . دى مواهب جديدة لم أكن أتوقعها من الشيخ طنطاوى . . ألا تخشى أن تخطئ فى هذا المجال الجديد الذى لا تتقنه .

– لا يهم أن تخطئ ولكن المهم أن نتعلم من الخطأ .

– هذه جرأة تذهلنى !؟

– أحيانًا يلقى بنا فى البحر ولا يكون أمامنا اختيار سوى أن نتعلم السباحة برغم أنوفنا وبدون معلم . . نتعلم من التجربة والخطأ .

– (يعصر دماغه فى حيرة) ولكن . . كيف . . كيف حدث كل هذا . . كأنى فى حلم . .

– هى قصة طويلة ستعرفها فى أثناء عملك فى البلاتوه .

– أهى رواية ؟

– الدنيا أحيانًا تبدو كالرواية .

– كيف ؟

– لقد دخل ناس جهنم لأنهم قالوا . . كيف . . ومتى . . وأين . . ومن خلق الذى خلق . . ولماذا هناك البصير والأعمى والحشرة والإنسان . . ولماذا يخلقنا الله ويعذبنا ولماذا يُقدِّر علينا ويعاقبنا . . ولو أنهم آمنوا وأسلموا

لعلّمهم ربهم . . ولو أنهم اهتدوا إليه لهداهم فى حيرتهم .

– صدقت .

– صاحبنى ولا تسأل وسوف يعلمنا الله من علمه .

– والبس لبوسك ؟

– وما الضرر ؟

– وآكل طعامك ؟

– وما المانع ؟ الله لم يمنعنا من أكل الطيبات ولا حرم علينا الزينة ما دامت من حلال .

– وهل هى من حلال ؟

– هذا يتوقف على نيتك وفعلك والفم لا تنجسه اللقمة التى تدخله بل الكلمة التى تخرج منه .

– إن ما يخرج من فم الممثلات والممثلين فى بلاتوهات السينما والمسرح ينجس أمة بأسرها .

– هذا هو الأمر الذى سأحاول أن أغيره .

– سيغيرك هو قبل أن تغيره .

– هى معركة لابد منها .

– فرد واحد فى مواجهة عصر . . النتيجة معلومة .

– الأنبياء كانوا أفرادًا وغيروا عصورًا .

– إنهم أنبياء.

- والمصلحون كانوا أفراداً أيضًا واستطاعوا أن يغيروا عصورهم .
- حلم كبير؟
- لا نستطيع أن نقف مكتوفى الأيدى نرى الفساد يدب فى كل شىء ونكتفى بالتراتيل والتسابيح فى الخلوات .
- هذا أفضل من أن نفسد مع الفاسدين ونسقط مع الساقطين .
- الحكم بدون تجربة تشاؤم لا مبرر له والله يأمرنا بألا نيأس من رحمته . . الواجب أن نحاول قبل أن نطلق أحكامًا فارغة فى الهواء بلا ممارسة وبلا خبرة .
- حاول وحدك . .
- أتتركنى أحاول وحدى . . أتتركنى أصارع الطوفان وأقف أمام السيل وحدى وتهرب متذرعًا بتسابيحك . . أهذا هو الدين . . أهذا هو ولاء المريد لشيخه ؟
- (يصرخ) وماذا أفعل أنا العاجز ؟
- ضع يدك فى يدى فتصبح اثنين وتصبح قوتنا قوتين . . أفقدت الثقة فى شيخك . . أما عدت تحب شيخك ؟
- وهل أستطيع . . إنك لتعلم مكانتك منى . . وكيف أضع كلماتك بين عينى . . بين لحمى وعظمى . . ولو قدتنى

إلى جهنم لسرت وراءك ولو استعرضت بى البحر لخضته معك . . فأنت وسيلتى إلى السماء . . وأنت أحب إلىّ من أهلى وولدى . . وأقرب إلىّ من سواد عينى .
- سلمت لى يا شيخ عيسى . . وسلمت أيامك (يعانقه)
- سأمشى وراءك ولو قدتنى إلى الهلاك .
- بوركت يا شيخ عيسى وبوركت أيامك .
- سوف أصحبك إلى ما تريد . . هذا قدرى .
- بشرط .
- وما الشرط
- أن تكون مثل قرود الحكمة لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم وإنما تتعلم . . تصاحبنى ولا تسألنى . . هذا هو العهد بين المريد وشيخه .
- أنا عند عهدى .
- وغدًا تخلع الخرقة وتلبس ثوب العمل الجديد .

(الدراويش الشحاذون الذين كانوا يحملقون مبهوتين طوال الحوار الدائر ويتمتمون بتسابيح خافتة ويشبحون بأذرعهم فى حيرة ويرددون كافة الإيماءات . . نراهم الآن يحيطون بالشيخ طنطاوى والشيخ عيسى ويتكلمون فى وقت واحد) .

- واحنا يامولانا . . ما مصيرنا ؟

- حانروح فين ؟
- حانعمل إيه ؟
- وإيه التصريف ؟
- حانرجع ديارنا ؟

الشيخ طنطاوى : أنتم حاتكونوا معانا .. حايوزعكو الشيخ عيسى ع الوظايف والأعمال اللى يشوفها مناسبة ... وعندنا أعمال كثيرة فى حاجة إلى أيدى بالشرط اللى اتفقنا عليه .. إن كل واحد لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم وإنما يتعلم .. هذه كلمة العهد والميثاق على الجميع .

(أصوات متعددة) .

- سمعنا وأطعنا .
- كلنا تحت الأمر .
- الله يفتح عليك .
- الله يكرمك .
- بقينا موظفين يا إخوان .
- ولنا رواتب وكسوة ومعلوم .
- ونأكل ما لذ وطاب من الحلوى والكباب .
- هذا رزق من السماء .
- يا ترى مين إللى بيدفع .

(تدخل سونيا فى ثوب تركواز طويل فاتح عارية الظهر وعلى صدرها وردة ذهبية وشعرها الأشقر يتناثر على ظهرها كسنابل القمح) .

(ينتفض الدراويش كأنما لدغهم عقرب) .

(تسمع همهمات استغفار وتعوذات) .

(بعض الدراويش ينظر إلى الأرض ، البعض ينظر إلى الجدران .. البعض ينظر إلى السماء .. البعض يسترق النظر فى فضول .. الشيخ عيسى يتجمد فى مكانه ... تلتفت سونيا فى وجوه الدراويش مبتسمة) .

طنطاوى : **(مشيرًا إليهم)** دول هم العمال والموظفين إللى كنا بندور عليهم .. وده أخويا الشيخ عيسى شاب مثقف أمين وهو أنسب الموجودين لوظيفة مدير البلاتوه .

سونيا : **(ما زالت تتفحصهم بابتسامة)** اختيار مناسب جدًا .. يتعينوا فورًا .. ويتسلموا أعمالهم من الآن .. أوامر برهومى لا تناقش .

(تدق على جرس)

(يدخل خادم)

سونيا : **(مشيرة بيدها إلى الموجودين)** خدهم لغرفة الملابس يقلعوا **(فى ضحكة خافتة)** ملابس التشريفة دى .

الشيخ عيسى : **(معترضًا فى صوت غليظ مشروخ من الانفعال)** إيه هى الحكاية يا شيخ طنطاوى ... أنا عاوز أفهم .

طنطاوى : **(فى صوت حاد باتر آمر قاطع كالصلب)** هل نسيت أنك لا ترى

ولا تسمع ولا تتكلم . . أهذا ميثاق المريد مع شيخه ؟

الشيخ عيسى : (يطاطئ رأسه فى امتثال) سمعنا وأطعنا .

الشيخ طنطاوى : روح بهم لغرفة الملابس .

(يخرجون) .

(سونيا والشيخ طنطاوى وحدهما . . كلاهما ينظر إلى الآخر . . سونيا باهرة متألقة مثل التفاحة المحرمة . . والشيخ طنطاوى يفرع جسدها بنظراته فى تحدى) .

سونيا : إيه التحف دى . . هى دى نقابة الشحاتين إياها .

– أيوه يا ستى هى نقابة الشحاتين إياها .

– أراهنك حاتعجبهم حياة البلاتوه أوى . . وحايهجروا السلك الدبلوماسى بتاعك .

طنطاوى : (وهو يتهالك على الكرسى الأوسط الذى يشبه كرسى العرش) باين عليهم القرف التام م الجو .

سونيا : (تدور حول الكرسى) ما داقوش طعم المهلبية لسة .

– ما تستعجليش الأمور . . هيه . . إيه أخبارك .

(فى أثناء الحوار يكون طنطاوى جالسًا وسونيا تدور حوله تحاوره وتناوره وتلاعبه وتغازله وتغريه . . هو طول الوقت محورها . . ثم ينعكس الوضع فتجلس هى ويقوم هو فى عصبية ظاهرة . . يدور ويلف حولها ويحاورها فى توتر وعصبية . . هى طول الوقت محوره) .

– حانبتدى البروفات من بكره . . الكل فى حالة استعداد . . ستاند باى .

– حانسمى الرواية إيه ؟

– الحب والحرب .

– (يمسك يدها) اسم جميل . . فالحب هو الحرب بعينها . . المرأة تعلن الحرب على الرجل من أول نظرة فتحاول أن تنتزعه من أهله ومن أصدقائه ومن عمله ومن نفسه . . وتغار عليه حتى من الكتاب فى يده ، ومن الفكرة فى رأسه . تغار من نجاحه وكأن نجاحه عدوها . . الحب البشرى أحيانًا هو العداوة مقنعة .

– يا ساتر . . أعوذ بالله ده كلام راجل صوفى يدعو الناس إلى الحب . .

– أنا أدعو الناس إلى حب الله وليس إلى حب المرأة . . فالله وحده هو الذى يُحَب ويُعْبد لأنه وحده كامل الصفات . . أما المرأة فواجب الرجل العاقل أن يخشاها ويحذرها .

– (تغازله وتعبث فى شعره) بعد كل إللى عملته . . تخشانى وتحذرنى . . ألم أعطك كل شىء .

– لتحصلى على كل شىء . . لتستولى على روحى ذاتها .

- وحتى روحك لن تكفيني .. صدقني .
- نعم .. أنت تريدين أرواحنا جميعًا .. تريدين استعبادنا جميعًا .. ويا له من ثمن رخيص فى سبيل هدف غال .. (يدفع يدها ويهب من كرسيه فى عصبية) ثم ماذا تفعل المرأة إذا استولت على روح رجل .. إنها تعتبره موضوع انتهى بحثه ، وتلقى به فى أول مزبلة وتبحث عن رجل آخر .. عن ضحية أخرى وعبد آخر .
- (تتهالك على الكرسى) وهو نفس ما يحدث إذا استولى الرجل على روح المرأة فخضعت له كالعبد الرقيق .. إنه يعتبرها موضوع انتهى بحثه ، ويرمى بها فى أول مزبلة ويبحث عن ضحية أخرى .. وجارية أخرى .. إن الملل القاتل واستنفاد اللذة يترصد للاثنين طول الوقت .
- (يدور حولها) والمرأة تحاول أن تصرع الملل بالغيرة .. إذا رأت أن رجلها بدأ يطمئن إلى حبها تعطى نفسها لآخر ليجن جنونه .
- أقل ما يرضيني أن تجن بى .
- أرأيت .. هى إذن معركة .. حرب .. شر .. قتل .
- (تغازله وتعابثه وتمسك بيده) بل هى اللذة واشتعال الأعصاب .. يا برهومى حاقتلك .. حاقتلكو كلكم .

- مش حاتكون مسألة سهلة .
- أنا سونيا .. أنا الدنيا .. أنا وصفة مجربة بطول التاريخ ..
- أنا أكرهك .
- (تقوم إليه فى تحدى) وبتحبنى بتعبدنى .. وغيرت حياتك كلها عشانى .
- أكرهك (يحضنها فى يأس وضعف) أحبك .. أنت الشيطان نفسه .. عاوزه منى إيه (فى تشنج) عاوزه منى إيه ؟
- حاجات كتيره .. إحنا لسه فى أول الشوط .. إحنا لسه فى حرف الألف .
- أنت هلاكى .. أنت هلاكنا كلنا .. (ينفض ذراعيها عن جسده) دى أذرع أخطبوط .. سجن .. زنزانه .
- زنزانه فى الجنة .
- زنزانه فى الجحيم .. حاحطم قضبانها .
- فات الأوان يا برهومى والقطر قام .. مش حاتقدر تنط منه .. إلا إذا كنت عاوز تنتحر .. والمؤمنين مابينتحروش .
- ربنا حاينجينى منك .
- وليه بتتصور إن ربنا فى صفك ومش فى صفى .. ربنا

أعطاك يد قوية تقتل بها الحشرة وأعطى الحشرة جناح تهرب بيه منك.. ربنا مع الكل.. وإذا كان ربنا بيحمى الحشرات م الإنسان يبقى من باب أولى يحمى الستات م الرجال المجرمين أمثالك حتى ولو كانوا أوليا.

– قريتى الكلام ده فين.. ده مش كلامك.

– فى رواية مثلتها السنه اللى فاتت.

– من تأليف الحشاشين السكيرين مخابيل العقول أنصار الحشرات أصحابك.. ولكنى بطمنك.. فالله مع أوليائه بل هو دائمًا ناصر أوليائه.. ولكن السؤال.. هل أنا من أوليائه.. هل ما زلت من أوليائه.. السؤال.. من أنا الآن.. ومن أعبد.. من أعبد.

– بتعبدنى يا حبيبى.. ده سؤال بسيط جدًا.

– كذب.. كذب.. كذب.. ده مش حايحصل أبدًا.

– اتشنج يا حبيبى زى ما انت عاوز.. لكن الحقيقة هى الحقيقة.

طنطاوى: (فى صوت حاد وقد أفاق تمامًا) الحكاية لسه ما انتهتش يا سونيا.. احنا لسه فى أول الشوط.. لسه فى حرف الألف زى ما قلت.. ما تستعجليش.

(صوت جرس ثم يدخل خادم يتقدم من سونيا ويميل على أذنها).

سونيا: (ناظرة إلى طنطاوى) هيئة الإدارة عاوزة تتعرف عليك.

طنطاوى: يتفضلوا.

(يخرج الخادم مسرعًا).

(يدخل فى أعقابه أربع رجال يلبسون القبعات والقمصان المشجرة.. شعورهم مرسلة وأزياؤهم فيها إغراب الفن والحرفة.. وشكلهم كرجال العصابات).

سونيا: أقدم لك هيئة إدارتى.. «جدو» المدير المالى فى جيبه دفتر شيكات بمليون جنيه.. «أونكل» الرأس المخطط والدماغ الجهنمى للفرقة. «وتوتو» المخرج «وجيمى الفونت» مصمم الرقصات ودرويشنا المغفل اللى بيسكر ليل نهار ويقول إنه عاوز يكون صادق مع نفسه.

طنطاوى: (ساخرًا) اللى بيسكر عندكو ليل نهار بتسموه درويش.

سونيا: درويش مودرن.

طنطاوى: تقدم عظيم فى استخدام الألفاظ.

سونيا: الدنيا بتتطور يا برهومى.

جيمى الفونت: (يخرج زجاجة الخمر من جيبه) دى السبحه المودرن ماركة جيمى الفونت..

طنطاوى: بتسبيح بتقول عليها إيه يا فونت.

جيمى الفونت : بقول يا زمن زفت . . زفت . . زفت . . زفت . . زفت . . زفت . . زفت . . زفت . .

طنطاوى : (ضاحكًا) لا صدقت . . درويش مودرن فعلا .

جيمى الفونت : المهم تكون صادق مع نفسك يا مسيو شيخ . . والباقى طظ (يجرع من الزجاجة) طظ . . طظ . . طظ . .

طنطاوى : (لسونيا) عندك هيئة إدارة ممتازة يا مدام سونيا .

سونيا : كلها تحت أمرك يا برهومى .

جدو : تكاليف بناء المسجد بلغت ميت ألف جنيه وتكاليف إنشاء مدرسة تحفيظ القرآن بلغت عشرين ألف جنيه . . ونفقات البروفات والتصوير والملابس الخاصة بالرواية الاستعراضية وصلت ميه وخمسين ألف جنيه .

سونيا : كل طلبات برهومى تجاب فورًا .

أونكل : ع العموم سيدنا حايشوف عرض عظيم يرضيه .

جدو : البروفات حاتكون مفاجأة .

جيمى الفونت : حاتشوف فن يا شيخ مسيو برهومى . . فن الخواجا فونت .

طنطاوى : إذن تأجل الكلام إلى ما بعد مشاهدة البروفات وإلى اللقاء غدًا . . إلى اللقاء مع الفن . . ومع الفونت .

(ستار)

الفصل الثالث

(صحراء . . ليل

نفس مكان الفصل الأول لكنه الآن يضج بالحياة والحركة . . أسلاك النور تمتد فى الفضاء والتوصيلات والأعمدة والكابلات فى كل مكان . . ولمبات كهربائية كبيرة تتدلى من الأعمدة وتحيل ليل الصحراء إلى نهار .

بالونات الزينة والبطيخ الأحمر والأزرق والأخضر تتدلى حول الخيام .

هناك ساحة فى وسط الخيام تستغل كبلاتوه للتصوير وحولها كاميرات سينمائية .

لوحة بالتعليمات تتدلى من مكان ظاهر فى المسرح مكتوب عليها . . «ممنوع القبلات والأحضان» . . ولوحة أخرى مكتوب عليها . . «ممنوع هذه المشروبات : النبيذ والويسكى والبراندى والعرق والبيرة والزبيب – إمضاء الشيخ طنطاوى» ولوحة ثالثة مكتوب عليها . . «ممنوع لحم الخنزير» – إمضاء الشيخ طنطاوى .

فرقة سونيا المسرحية تشاهد فى الساحة فى حالة حركة دائبة ونشاط . . من الراقصات . . ماريكا وزازا ونانا وفافى وراشيل . . ومن الممثلين سوسو وبوسو وميمى وجيمى . . المخرج توتو يقف عند إحدى الكاميرات . . ومكتب صغير يجلس عليه «أونكل» وإلى جواره العجوز «جدو» . . أغلب أفراد الفرقة يلبسون القبعات ويطلقون اللحى العجيبة والسوالف والشوارب ويرتدون القمصان المشجرة والبلوزات الحمراء والبنطلونات الممزقة .

أحمد وعيسى وزكريا ويحيى واسماعيل وإدريس هم الآن عمال وموظفون وخدم . . يظهرون بين وقت وآخر وهم يكنسون أو يلبون الطلبات أو يساعدون الأرتست على ارتداء وخلع ملابسهم أو يساعدون فى تغيير الديكور .

نسمع كلمة «ستاند باى» من المخرج . . ثم تضاء الكشافات ونرى رقصة «الحب والجنس» تقوم بها الراقصات مع الممثلين .

حركات تعبيرية تروى قصة الحب من أول نظرة إلى السلام فالكلام فاللقاء فالقبلة فالعناق فالفراش . . إلى أن يأتى المأذون فى النهاية فيعقد العقد .

يدخل الشيخ طنطاوى فى ذراع سونيا فى بدلة بيضاء أنيقة وقد شذب شاربه وهندس سوالفه . . ما زال مهيب الطلعة . . سونيا فى ثوب أحمر طويل فاتن . . ظهرها عريان . . وشعرها المذهب يموج على ظهرها .

تكون دخلته فى ذراع سونيا فى لحظة تبادل القبلة بين الراقص والراقصة فيهتف مستنكرًا وهو يخلع نفسه من ذراع سونيا ويتقدم إلى الراقص فيبعد شفتيه عن شفتى الراقصة) .

— أنت ما قريتش اللائحة . . قلنا ممنوع القبلات .

المخرج توتو : دى مش قبلة يا مسيو برهومى . . دى أداء تعبيرى . . فن . . باليه . . ابستراكت . . حاجة راقية غير المسخرة اللى انت عارفها .

— ممنوع القبلات يعنى ممنوع القبلات .

سونيا : أوامر برهومى تمشى من غير مناقشة يا توتو .

— لكن الرواية . . الحبكة . . التسلسل . . الرقصة بتعبر عن حكاية حب . نظرة فابتسامة فموعد فلقاء فقبلة فعناق . .

حلقة بعد حلقة . . نعمل إيه فى حكاية القبلة .

الشيخ طنطاوى : (يهرش رأسه) ممكن تكون قبلة فى الهوا بدون تلامس . . يعنى شبرين مسافة بين البنت والولد .

(يشرح عمليًا على البنت والولد)

جيجى : (ساخرًا) يبعت لها بوسة فى الهوا . . افهم يا أستاذ .

توتو : طيب حاضر . . أمرك . . ستاندباى . . نعيد اللقطة حسب أوامر مسيو برهومى .

(يعود العرض من جديد إلى أن تصل القصة إلى العناق والفراش . . نرى حركات راقصة إيحائية تعبر عن الجنس . . يصرخ الشيخ طنطاوى فى استنكار) .

— عظيم . . مدهش . . Formidable Superb . .

شىء رائع يا أستاذ توتو . . دعاية عظيمة للدعارة على موسيقى شتراوس . . تطور مذهل لفن الانحطاط . . من أى ماخور جبت الفن ده يا أستاذ .

جيجى الفونت : (الذى وضع تصميم الرقصة) ده كوريوجرافى مودرن يا مسيو برهومى .

طنطاوى: من أى بيت سرى استوردت الكوريوجرافى المودرن ده .

جيجى الفونت : من باريس . . آخر صيحة فى باريس .

طنطاوى: دى صيحات من اختصاص بوليس الآداب فى كل

مكان . . دى مخدرات مهربة فى علب ملبس مؤامرة على الجماهير . . تسول جنسى لصالح الشباك وجيب الست سونيا .

صمت تام

(تتبادل الفرقة النظرات)

(أونكل وجدو ينظران لبعضهما ، وللشيخ طنطاوى نظرات ارتياب) .

سونيا : **(تقطع الصمت فى رقة)** برهومى . . أنت أعصابك ثايرة النهاردة أكثر م اللازم . . أسأت الظن بالأولاد والبنات بدون داعى . . وضخمت المسائل . . والأمر أتفه من الثورة دى كلها . . مؤامرة وجماهير ومخدرات مهربة **(تضحك)** إيه ده . . أنت عندك النهاردة نوبة زعامية خطيرة . . كريزة مش مفهومة . . الحكاية بسيطة أوى . . ممكن تعدل فى الكوريوجرافى زى ما انت عاوز . . اعمل اللى يعجبك . . كلنا هنا فى خدمة مبادئك .

جيمى : (ساخرًا) ع العموم المأذون حايدخل فى آخر الرقصة ويعقد جواز البنت والولد . . يعنى الختام حايكون شرعى بإذن الله . . أستغفر الله إحنا ما نحبش الزنا .

أونكل : تمام كلام «جيمى الفونت» يا مسيو برهومى . . دى رقصة شرعية تنتهى بالنكاح الحلال . . إحنا لا تدعو

إلا إلى النكاح الحلال . . أستغفر الله .

طنطاوى: شىء جميل يا أونكل . . يا داعى إلى الشرع الحلال . . لكن أظن أنه حتى الأزواج لا يمارسون الوطء الحلال أمام أعين المتفرجين يا أونكل . . العملية ليست للعرض العلنى . . إن الجمل وهو الحيوان الأعجم لا يستطيع أن يضاجع الناقة إلا فى الظلام بعيدًا عن العيون . . ولو رأى عينًا تتلصص عليه يمتنع خجلاً . . وهو الحيوان .

أونكل : ولكن إحنا مش حيوانات يا مسيو برهومى .

طنطاوى: بالضبط يا أونكل وعشان كده لا نخجل ولا نستحى من أى شىء ، فنأكل بدون جوع ، ونشرب بدون عطش ، ونقتل بلا سبب ، ونفترس بلا غاية ، ونمارس ألوانًا من الشذوذ لم تعرفها الطبيعة . . مش كده يا سوسو وبوسو وحنتوسو (يصرخ) مش كده يا حثالة أرصفة باريس ولندن وروما . . مش كده يا زبالة الأجناس البشرية .

سونيا : برهومى . . حبيبى . . ما تفورش دمك . . البرنامج رهن إشارتك . . ممكن تعدل فيه زى ما تحب . . مفيش لزوم للغضب .

طنطاوى: **(فى غضب)** طيب . . نشطب اللقطة الجنسية المباشرة .

سونيا : اشطب اللقطة الجنسية باتوتو . . الحركات المباشرة بس

هه . . مفهوم . . العرض تانى على بعضه .

توتو : ستاند باى . . كلاكيت .

(تعود الرقصة من بدايتها إلى أن يدخل المأذون فنرى شيخًا يدخل مثل الأراجوز بالعمة والجبة والقفطان . . بعد الحركات التى توحى بالعقد يخرج المأذون فتشيعه الفرقة بالصفير . . العريس يجرى خلفه وفى يده هراوة فى حركات إيمائية كأنما يريد أن ينتقم منه وكأنما يريد أن يهوى بها على رأسه انتقامًا للمصيبة التى أوقعه فيها) .

(ضحك مكتوم من الموجودين طول الوقت .
ثم صمت)

(الشيخ طنطاوى ينظر حوله نظرة صفراوية وهو يكز على أسنانه) .

طنطاوى: مين اللى وضع الكوريوجراف لرقصة المأذون الشرعى .

أونكل : جيمى الفونت .

طنطاوى: أظن المره دى مش حاتقول جايبه من باريس فهم هناك ما يعرفوش المأذون الشرعى يا فونت .

جيمى : لا . . المرة دى من تصميمى وتفكيرى .

طنطاوى: برافو . . واضح أن لك رأيًا عظيمًا فى الجواز ، وأنك بتحترم الشرع أوى . . وبتحب الحلال أوى أوى .

جيمى : أنا عارف إن رأيى مش حايعجبك . . لكن الحقيقة إن الجواز حاجة زفت . . شىء غير طبيعى . . شىء مقرف يا مولانا لا تؤاخذنى . . أنا فنان ولا مجاملة فى الفن

والصدق مع النفس مذهبى . . مش عاجبك ارفدنى .

سونيا : (فى خبث ودلع) دى رقصة كوميك يا حبيبى . . فودفيل خفيف وافتكر انت معايا إن الجواز أحيانًا بيكون مهزلة . . وعشان كده ربنا شرع الطلاق . . والفن متعة ولو تحول إلى مواعظ يفقد وظيفته . . والفونت بينى وبينك معذور . . إسألنى أنا . . أصل مراته بتاكله علقة سخنة كل يوم . . والنهاردة باين عليه واكل كام شبشب (ضحك) .

طنطاوى: (يهرش ذقنه مفكرًا) طيب . . موافق . . سجلوا الرقصة بشرط تخفيف لقطات الكوميدى (ينظر إلى سونيا فى ود) هيه . . راضيه عنى ؟

سونيا : أوى . . ده انت بتتطور بسرعة مذهلة . . بقيت برهوم مودرن صحيح (تدفعه فى صدره) سبقتنى يا مضروب .

طنطاوى: وإيه أخبار الملابس ؟

سونيا : وصلت فى صناديقها من باريس . . موديلات تجنن . . آخر صيحة فى الجمال والذوق .

– عاوز أشوفها .

– (تصفق) يا أونكل أطلب عينات من الملابس عشان يشوفها مسيو برهومى .

أونكل: فوراً . .

(يختفي أونكل مسرعاً من باب خلفي) .

سونيا: بيير كاردان هو اللي رسم تصميماتها بنفسه . . بالمناسبة . . هو صاحبي .

طنطاوي: تشرفنا .

سونيا: كل الموضات الجميلة اللي بتجينا بتطلع من دماغ بيير كاردان . . هو بالنسبة لنا إحنا يا ستات . . غرفة عمليات . .

طنطاوي: غرفة عمليات . . شيء عجيب . . يعني إيه دي كمان .

سونيا: يعني هيئة قيادة . . أركان حرب . . . مارشال موضات . . كلمته أمر . . لما تشوف الفساتين طلعت فوق الركبة يبقى تفهم على طول إن فيه أمر صدر من مكتب بيير كاردان في باريس .

طنطاوي: أمر بتشليح كل النسوان .

سونيا: إيه البشاعة دي . . ليه كلماتك بشعة كده . . تشليح إيه وبتاع إيه . . الحكاية حكاية جمال وفن وذوق وتجديد . . حاول تتخلص من الجلافة الريفية دي . . حاول تتطور شوية . . الدنيا بتجري . . بتطير . . بتركب صواريخ . . وانت قاعد لسه على دكه الفقي بتقرا في لوح أردواز . .

قوم من ع الدكة دي شوية روح بوتيك والا ستريو والا نايت كلوب . . اتفرج ع الدنيا حواليك . . شوف جرى فيها إيه .

طنطاوي: جرى فيها إيه .

(يدخل أونكل وعلى ذراعه عدة فساتين هفهافة مرصعة بنجوم من الترتر والألماظ) .

(سونيا تأخذ أول فستان وتعرضه)

— شوف الموضات الحلوه . . ده مثلاً . . فستان رقصة الحب .

(ينظر طنطاوي مبهوتاً وهي تقلب أمامه الفستان . . ويفحصه بعين حائرة) .

طنطاوي: ده فستان . . أنا مش فاهم إزاي ممكن ده يكون فستان . . ده كله يتحط في علبة كبريت . . ده لا يمكن يستر فرخة . . ثم إيه الفتحتين الكبار اللي ع الصدر دول .

سونيا: ده عشان تطلع منهم الفكهة يا مسيو برهومي . . عشان يطل الرمان من على شجرة . . الله . . ما تفهم بقى .

طنطاوي: آه . . عشان صدر الرقاصة . . يـ . . . الله . . طيب ما ترقص عريانه وخلاص إيه لازمة الحشمة دي . . ليه الشرع واخد حده معاكو كده . . ليه الطبع الحنبلي ده . .

سونيا : أوه .. انت فظيع .. دى الصيحة الجديدة .. موضة سنة ١٩٨٣ .

طنطاوى: إللى رسمها بيير كاردان وصدرت بيها الأوامر من غرفة العمليات فى باريس عشان تنتشر عندنا .. وبطل الرمان من على شجرة .. تعليمات ستراتيجية عجيبة .. ده إيه التقدم العظيم ده دنا كنت نايم على روحى صحيح ومش عارف إيه اللى بيجرى فى الدنيا .. شىء جميل .. وإيه النجمة الألماظ دى .

سونيا : دى حاتكون هنا (تشير الى بطنها) .

طنطاوى: هيه .. على ميدان العتبه الخضراء .. لفت نظر إلى موطن الخير والبركة .. إلى كأس الخمر حنة وصرة المسك .. حيث يجب أن تطوف العيون وتخشع القلوب والأبصار . شىء جميل (يصرخ فجأة) شىء منحط تماما .. شىء دنىء فاحش داعر سافل .

سونيا : بلاش مبالغات أرجوك .. أنا معاك أن العرى حايصدم العين فى الأول لكن بعد كده حايبقى مألوف وعادى لما ينتشر .. وبعدين حايبقى عرف وتقليد .. تمام زى حكاية الميني جيب والميكروجيب .. كل الستات بيلبسوه دلوقت بحكم العادة المعتادة .

طنطاوى: بالضبط .. ودى خطة المارشال بيير كاردان إللى رسمها فى غرفة العمليات .. إن الفحش عندنا يبقى العادة المعتادة .

سونيا : قصدك إيه .

طنطاوى: قصدى إنى بَديت أشك فى اللى بيجرى حواليا .. دى مش حاجات بسيطة مما يمكن أن يسمى موضات وتقاليع .. إنما الأمر أخطر وأجل من ذلك بكثير .

سونيا : مش فاهمة .. معنى كلامك إنك مش حاتوافق .

طنطاوى: (فى جدية كأنما بدأ يكتشف أشياء) المره دى المسألة حاتعوز تفكير .. تفكير جاد وخطير .. وأفضل إن احنا نأجل البت فى الموضوع .

سونيا : أنا النهاردة مش قادرة أفهمك .

طنطاوى: ولا أنا قادر أفهم حاجة .. الظاهر إنى كنت فعلاً نايم وغرقان فى النوم .. وإنى بديت افتح عينى .

سونيا : وحيتأجل البت كتير .

طنطاوى: لا .. يمكن بكرة يتضح كل شىء .

سونيا : (تربت على خده فى دلع) وبين النهارده وبكره تتغير حاجات كتير .. زى العادة يا حبوبى .. بين يوم وليلة بغيّرك .. وأطورك ..

طنطاوى: الظاهر أن التطور اليومين دول بيجرى بسرعة أوى كما لو

كان وراه إيدين شيطانية .

سونيا : إيدين ملائكية وحياتك (تلوح له بيديها) تفتكر دى إيدين شيطان ؟

طنطاوى: جايز شيطان لابس جوانتى حرير .

سونيا : شيطان بالحلاوة دى !

طنطاوى: هو دايما بيكون حلو .

سونيا : ومين يقدر يقاومه وهو بالحلاوة دى .

طنطاوى: اللى حايكشف عن وجهه القناع .

سونيا : حاتقدر تكشف عن وجهى القناع .

طنطاوى: لو فقت لنفسى وصحيت صحو تام .

سونيا : كل ده ومش صاحى .

طنطاوى: أبدًا . . أنا دايخ . دماغى بتلف من يوم دخلت الأسلاك والماكينات والأضواء الأرض البكر اللى كنت عايش فيها . . مش قادر أخلا بنفسى لحظة . . دوشة الماكينات دخلت جوه دماغى . . نور الكشافات غشى بصرى . . (يغطى على عينيه)

سونيا : حط إيدك على خدى . . (تأخذ أنامله وتمررها على خدها) . . شفت فيه قناع . . وهنا . . وهنا فيه قناع . . (تقبل أنامله فى حنان) أنا بحبك من غير أقنعة يا برهومى .

طنطاوى: (يفتح عينيه يحملق فيها وفى أضواء الكشافات بترنح) النور . . طفوا النور . . كل شىء هنا صناعى . . كل شىء مفتعل . . كل شىء كدب .

سونيا : ما لك . . جرى لك إيه .

(يتهالك طنطاوى على كرسى)

سونيا : إنت محتاج للراحة يا حبوبى . . إنت بتجهد نفسك كتير عشاننا . . روح أودتك مدد لك شوية . . وحاجيلك بعد لحظة .

طنطاوى: (يقف يمسح على عينيه) لا متشكر . . الحمد لله فقت . . كان دوارًا عابرًا . . نستمر فى العمل . . مفيش وقت للدلع . . قولى لى . . إيه أخبار رقصة الحرب . . وصلت الأسلحة المطلوبة .

سونيا : ما تشغلش بالك الأسلحة فى الطريق وحاتوصل حالاً .

طنطاوى: طيب . . أنا حاروح فى مكتبى أستناها . . واستمروا انتوا فى عملكم (يلتفت إلى الأولاد والبنات) وحانبه مرة تانية . . إياك حد يخالف اللوائح . . المرة دى مش حاسامح حد .

(يخرج)

(بمجرد خروجه نرى المسرح يتحول إلى شقلباظات . . وكل ممثل يقفز فى بهلوانية وكل ولد يحضن بنتًا ليقبلها فرحًا بزوال الكابوس) .

خرج الكابوس . .
ما تعالوا نبوس .

(نرى الشيخ ادريس يرقص وينطط مع ماريكا وهى تغنى) .

شيخ إدريس يا شيخ إدريس
ياسلطان الملاحيس
شيخ إدريس يا شيخ إدريس
يا سلطان الملاحيس

(جيمى الفونت يخرج زجاجة شمبانيا من تحت الكرسى ويقيمها على فمه دفعة واحدة) .

توتو : (فى دهشة لجيمى) إيه ده يا فونت . . ممنوع . . اقرأ اللائحة

(يشير إلى لائحة الممنوعات) .

— دى شمبانيا وحياتك . . غير وارده فى لائحة الممنوعات . . الدرويش الكرودية ما سمعش عن الشمبانيا ولا يعرفش إنها منكر .

(جيمى يترنح بعد أن التهم الزجاجة ويخرج من المسرح وهو يغنى ويدندن بفمه) .

جيمى : (يدندن) .

بيجوزونا ليه
ترللا . . ليه .

ترللا . . ليه .

(يصطدم بأونكل فيضمه)

جيمى : ما تفرحش يا أونكل . . يومك جاى . . عقبال ما تمشى فى جوازتك .

(زازا الراقصة الفيديت تدور حول نفسها فى مهارة) .

زازا : إيه رأيك فى الرقصة دى يا فونت

جيمى : برافو . . charmante .. magnifique

زازا : عجبتك

جيمى : قر .

زازا : تتجوزنى يا فونتوتو .

جيمى : وليه الأذية دى . . ما تخليكى كده قر بدال ما اتجوزك وتبقى غراب .

— غراب غراب مرة واحدة ؟

— وحِدّايه وبومه كمان . . تحولات فزيولوجية جوازية .

— مش بتحبنى يا فونتوتو .

— شفوى مع إيقاف التنفيذ . . وردة فى جنينه . . كل واحد فى حاله . . مش عاوز أقطف . . لو قطفتك حاحطك فى زهرية وبعدين أرميكى فى الزبالة . . كان لازمته إيه يا فونتوتو . . ما كنا كويسين يا فونتوتو .

- شربات يا فونتوتو .

(يخرج جيمى من المسرح وهو يدندن)

بيجوزونا ليه . . .

ترللا ليه . . .

ترللا ليه . . .

(نرى أونكل وجدو وسونيا يسعى كل منهم الى الآخر ويقفون متقاربين . . رءوسهم تميل على بعضها البعض فى شكل يدل على أنهم يتهامسون بأسرار) .

(تخفت ضجة المسرح حولهم . . وتظهر الرءوس الثلاثة فى دائرة ضوء واحدة ونسمع الوشوشة) .

جدو : (لسونيا) إيه أخبار مولانا الشيخ .

سونيا : ما تطمنش أوى . . لكن البداية مش بطالة . . سمعتوه قدامكم بيصرح بالقبلات بشرط أنها تكون فى الهوا ، وبالرقص الجنسى بشرط أنه يكون غير مباشر ، وبالكوميديا اللى ضربنا فيها المأذون بالنبوت ، وامبارح أخذت منه تصريح بشرب البيرة ، على أنها مشروب خفيف غير مسكر ينشط الكبد ويدر البول . . والبقية تأتى . . ولما تبتدى التنازلات ما بتنتهيش ، وإذا نجحت الخطة زى ما رسمناها ، مولانا الشيخ حايبقى بعد أيام مفتى الانحلال الرسمى ، يفتى بالخمرة الحلال والوطء (يضحك

الثلاثة على كلمة الوطء كما تنطقها سونيا) ، والوطء الحلال الزلال . . ويتحول البلد إلى شعب محلول مغمى عليه . . وباقى العملية حاتكون أسهل علينا من قزقزة اللب . . حانستولى على الأرض والناس زى ما بنعبى فراخ مغمى عليها فى أقفاص .

لكن زى ما قلت لكو . . لسه مش مطمنة أوى فهو بدأ يشك وبفوق ويصحى ويفتح عينيه . . ودى حاجات ما يصحش تحصل .

جدو : البركة فيكى .

أونكل : وفى العرقسوس اللى فيه أفيون L.S.D. وارد فرنسا .

سونيا : لازم نزود الجرعات ونستعمل كميات أكبر من الأفيون .

جدو : سبقناكى فى مراعات المسألة دى .

سونيا : وإيه أخبار الدراويش .

أونكل : الشيخ إدريس غرق فى المهلبية ، والباقى فى حالة ذهول بيتحركوا زى الآلات . . والشيخ عيسى مبوز ومكشر وفى حال صيام مستمر ، وآخر أخباره أنه دخل المسجد واعتكف وضرب ماريكا لما دخلت له بالأكل .

سونيا : سيبوه فى حاله وراقبوه من بعيد .

أونكل : أنا عندى تحذير أهم .

سونيا : إيه هو.

أونكل : جيمى الفونت ما يصحش يعرف حرف من الخطة.

جدو : مؤكد .. ده راجل مجنون .. فنان منحل لحسابه الخاص لا يمكن يشتغل لحساب حد .. رجل يسكر لمزاجه الشخصى .. فونت .. لا يهمه حد ولا بتهمه حاجة .. كل همه أنه يكون صادقًا مع نفسه.

أونكل : وعشان كده نسيبه لنفسه.

سونيا : ويبقى أفضل لو نسكره حبه زيادة عشان ينام على روحه أكتر، ويريحنا من حكاية صدق نفسه مع نفسه.

أونكل : البركة فى جدو.

جدو : والكوركواسيه نابليون إللى عمره سبعين سنة يا متر.

سونيا : لازم نشتغل بسرعة ونسبق المفاجآت .. افتحوا عينيكم كويس .. ساعة الصفر قربت.

(تنطفئ دائرة الضوء التى تسبح فيها الرءوس الثلاثة .. ونراهم يتصافحون ويفترقون).

(سونيا تتمدد على شيزلونج فى مقدمة المسرح وتشعل سيجارة وتدخن)

(سوسو وبوسو شابان مختثان فى عمق المسرح يتمرنان على الرقص، شعورهما مرسلة حتى الكتفين، فى شفاههما روج وفى خدودهما أحمر، ولبسهما فاقع، وحركاتهما أنثوية).

(زكريا يكنس الأرض).

(سوسو وبوسو ينظران إلى قامته الفارهة وإلى تكوينه العضلى الرجولى ويفكر كلاهما فى نفس الشىء فى وقت واحد).

بوسو : زكريا .. تعال سرح لى شعرى.

سوسو : زكريا .. تعال قلعنى البلوزة.

(زكريا يساعد سوسو فى خلع البلوزة).

سوسو : (يعطيه بونبونة فى فمه) دلك لى ضهرى.

(زكريا يدلك ظهره).

سوسو : دلك هنا .. الروماتزم هنا.

(زكريا يدلك له المكان الذى أشار إليه).

سوسو : لا دلك هنا .. الروماتزم هنا.

(زكريا يدلك له كما أراد).

سوسو : عدّى على بالليل .. عندى لك هدية.

بوسو : زكريا .. سرح لى شعرى.

(زكريا يتحول إلى بوسو يمشط له شعره الطويل الذهبى)

بوسو : زكريا .. تحب الملبس.

زكريا : متشكر.

(يدخل الشيخ طنطاوى .. يفهم ما يجرى بنظرة واحدة)

طنطاوى: (يهتف فى حدة) زكريا.

(ينتفض زكريا ويقع المشط الذى كان يسرح به شعر بوسو من يده).

(سونيا تنظر إلى ما يجرى بعين ناعسة).

طنطاوى: بتعمل إيه ؟

زكريا : (فى براءة) بتسرح شعر بوسو .

طنطاوى: روح أودتك فوراً .

زكريا : حاضر .

(يتصرف زكريا ويتبعه سوسو وبوسو ولا يبقى على المسرح الا الشيخ طنطاوى وسونيا) .

(الشيخ طنطاوى يتلفت حوله فى ارتياب) .

طنطاوى: أنا مش فاهم إه اللى بيحصل حواليه فى الماخور ده . . ومش فاهم إيه اللى بيحصل لى أنا كمان . . شاعر بحيويتى بتتسرب منى كأنى إناء فيه آلاف الخروق .

(يتهالك متعبًا على كرسى بجوار سونيا وهو يمسك رأسه بين يديه . . سونيا تأخذ رأسه على صدرها وتربت عليه فى حنان) .

سونيا : برهومى حبيبى . . إنت بيتهيأ لك حاجات مالهاش وجود . . إنت مجهد . . ومحتاج لراحة ودى كل الحكاية . . خد لك شفطة منعشة من شراب العرقسوس اللى بتحبه .

طنطاوى: لا . . بلاش . . بيتعب لى أمعائى .

سونيا : مش معقول . . ده أحسن علاج للأمعاء . . ده موصوف لأمراض المعدة والأمعاء . . خد . .

طنطاوى: لا . . أرجوكى (يبعد يدها) .

سونيا : زى ما انت عاوز .

(تعود فتربت على رأسه فى حنان) .

سونيا : مش بتحس بالسعادة والفرح وإنت بتشوف الأرض الخراب اللى كنت ساكنها والمزابل اللى كنت بتنام فيها دخلتها المدنية ودخلها النور والمية والتلفون والتلفزيون والراديو والكتب والمجلات وموسيقى هايدن وموزار . .

طنطاوى: أوى . . ومزيكة تشاتشاتشا والأفلام العريانة والسجاير المحشية بحشيش الماريجوانا والانحلال والشذوذ وغنوة أوه كريستين . Une autre fois

سونيا : (تضربه على خده وتقبله) إزاى كشفت كل الحاجات دى يا برهومى يا عفريت .

طنطاوى: دى حاجات انتشرت أوى وما بقتش محتاجة لمكتشفين . . وكالعادة المسائل اللذيذة بتروج لنفسها بسرعة والعملة الرديئة بتطرد العملة الجيدة من السوق . . دى قوانين الدنيا المنحطة بتاعتنا .

سونيا : وإنت إيه مزعلك من الحاجات دى . . ما تسيب الشعب يتمتع ويفرفش بعد طول حرمان . . ده حقه . . هو النعيم كفر ؟

طنطاوى: الخمرة والمخدرات والحشيش مش نعيم . . ده هروب من النعيم ومن الشقا سوا . . ومعناه إن احنا ندى ضهرنا للمشاكل وننام .

سونيا : ما تسيبهم يناموا شوية . . إيه الضرر ؟

طنطاوى: حايناموا طوالى نومة أهل الكهف ويصحوا بإذن الله على خراب أسوأ من كل خراب فات .

سونيا : أما انت متشائم صحيح . . وليه تنسى الجوانب المضيئة . . ليه تنسى إن احنا جبنا لكو العلم .

طنطاوى: (ساخرًا) جبتو لنا العلم ! . . أى علم . . جبتو لنا التلفزيون والطيارة والصاروخ والعقل الألكترونى . . نشتريه منكم وما نعرفش نعمل زيه . . ده يبقى علم . . ولا نص علم ولا ربع علم . . دى سريقة . . اديتونا قشرة علم وأخدتم منا كل البكارة وكل الخامات وكل الكنوز . . سرقتونا ونهبتونا والآخر بعتو لنا سوس الانحلال يأكل فى أبداننا حتى النخاع (يهب صارخًا من رقدته) انتوا . . ضيعتونا . . إحنا ضعنا . . ضعنا . . أنا عاوز خرابتى القديمة . . مش عاوز منكو حاجة .

سونيا : إنت حاترجع لفلسفتك التخريفية بتاع زمان والكلام النظرى الفارغ اللى لا يودى ولا يجيب . . خد إشرب . .

ده علاجك من مرض أينشتين بتاعك .

طنطاوى: مش حاشرب .

سونيا : لازم تشرب عشان تفوق لعملك ومسئولياتك . . إنت ناسى إنك بقيت أهم راجل فى القيادة الفكرية والدينية لبلدك (تقرب منه الكأس فينتزعها ويلقى بها على الأرض) .

طنطاوى: (فى تمرد) سيبينى لوحدى .

سونيا : (فى حنان) جرى لك إيه . . إتجننت .

طنطاوى: لا . . عقلت . . فقت .

سونيا : وحاتعمل إيه .

طنطاوى: حارجّع كل شىء لأصله . . حاكرشكم كلكم وارجع لخرابتى القديمة .

سونيا : ما عادش ممكن . . عجلة التطور بتمشى فى اتجاه واحد ومش ممكن حاتقدر ترجع بيها لورا . . مش حاتقدر ترفضنا . . ما تقدرش ترفض العلم .

طنطاوى: أنا مش حارفض العلم . . أنا حارفض التوظيف السيىء للعلم . . العلم سلاح محايد . . ممكن يبقى قنبلة ذرية مهلكة . . وممكن يبقى طاقة خيرة تنور مدينة . . ممكن الراديو يثقف ويعلم ويفيد ، وممكن يضيع ويتلف ويخرب . . ممكن يذيع الصدق وممكن يذيع الكذب .

أنا حاخد العلم وأوظفه على مرادى ولفايدتى ولخيرى وخير الناس ، وحاخد العلم من منبعه مش من إيديكم عشان آخد كل العلم مش نص العلم وربع العلم وقشرة علم .

سونيا : (مادة يدها) وتنسى الإيد اللى ادتك كل أموالى وثرواتى تصرفها على مبادئك وأفكارك .

طنطاوى: ده الشىء اللى مش قادر أفهمه .

– ولغاية دلوقت بتاخد وتصرف زى ما انت عاوز .

– وده هو الشىء المريب .

– بتقول المريب .

– لأن الكرم الحاتمى اللى يبدو فى ظاهره خير ، سرعان ما يتحول عند التنفيذ إلى شر مستطير ، وتدمير للأرواح والنفوس ، وكأن فيه إيدين خفية بتحوله بلمسة سحرية من ترياق إلى سم . . مش عارف ازاى . . فيه حاجات مش فاهمها (يقفز من كرسيه) لابد من العمل . . لابد من كشف الإيدين المجرمة اللى بتخرب كل شىء .

سونيا : (تهب من رقدتها عند سماع كلماته مخاطبة نفسها بنبرة ذات معنى) عندك حق . . لابد من العمل بسرعة . . قبل ما يسرقنا الوقت .

(تنفض واقفة) .

سونيا : حاسبقك عشان أجهز لاستعراض الحب والحرب .

(تخرج سونيا مسرعة) .

(الشيخ طنطاوى يذرع المسرح ذهابًا وجيئة فى خطوات عصبية ثم ينادى فجأة) .

– زكريا . . زكريا . .

(يدخل زكريا)

طنطاوى: اجمع لى أصحابنا كلهم فورًا . . روح قوام مستنى إيه .

زكريا : الشيخ عيسى معتكف فى المسجد ومش عاوز يطلع منه

طنطاوى: قله له يحضر فورًا . . قل له إنى بأمره .

(يخرج زكريا ويعود طنطاوى الى ذرع المسرح ذهابًا وجيئة) .

طنطاوى: (يكلم نفسه) عاوز أعرف إيه اللى بيجرى فى الخفاء ، عاوز أعرف الإيدين اللى بتخرب ، ولحساب مين بتخرب . . فيه إغراق متعمد لكل شىء فى الجنس والعرى والمخدرات والهزل . . كل محاولة للبناء بتنقلب لمشروع للهدم . . كل واحد له وشين ، ابتسامة ع الفم وخنجر فى الضهر . . مبادئ على اللسان ، وخراب فى القلب . . إيمان فى العلانية ، وكفر بكل شىء فى السر . . الكل بيحاول يخطف لذة سريعة بأى ثمن . . حتى أنا . . بتغير شوية شوية من غير ما أحس . . حتى أنا . . أترهل . . واتحلل كثمرة طيبة تتعفن .

(يدخل الدراويش)

طنطاوى: (يتأكد من وجودهم جميعًا) أحمد وزكريا ويحيى وإسماعيل وإدريس . . فين إدريس .

زكريا : نايم سكران فى البار .

طنطاوى: بقى واحد منهم . . كان بيمثل على نفسه الإيمان . . سيبوه .

(يدخل عيسى كئيبًا عابسًا ككومة فى خرابة ، نظراته حادة كأنها خناجر مصوبة إلى صدر الشيخ طنطاوى) .

طنطاوى: أنا عارف إنت عاوز تقول إيه . . لكن كان لازم ننزل للدنيا ونعيشها على حقيقتها قبل ما نحاول نعمل أى حاجة .

عيسى : وقدرت تعمل أى حاجة . . كلنا غرقنا فى العسل اللزج وبلعتنا دوامة الرمال الناعمة .

طنطاوى: لسه قدامنا فرصة . . دوامة الرمال الناعمة ماطمستش على أبصارنا . . لسه بنشوف .

عيسى : بنشوف إيه ؟

إحنا أبناء البلد . . الأرض أرضنا والوطن وطننا بنخدم على الترابيزات ، ونقدم الطلبات ونكنس البلاط وخيرات بلدنا وثرواتها فى إيدين سونيا وتوتو وسوسو وبوسو وجدو

وأونكل . . دخل علينا الخواجات قدمنا لهم أرضنا وبعدين حفرناها بإيدينا وقدمنا لهم كنوزها . . وأسوأ من ده كله (بنغمة ذات معنى لزكريا) بنأدى لهم خدمات تانية فى السر . . لسوسو وبوسو .

زكريا : قسمًا بالله . . ما رضيت أعمل الحكاية دى أبدًا ورجعت لهم فلوسهم . .

قسمًا بالله ما خطر على بالى إنهم كانوا عايزين منى الحكاية دى .

طنطاوى: كانوا عايزين يدمروك .

زكريا : فهمت كل حاجة الآخر لكن ماقدرتش أتكلم .

طنطاوى: (لإسماعيل) والمخدرات اللى سمعت إنهم بيوزعوها عليكم .

إسماعيل: والمصحف الشريف كنا بناخدها منهم ونرميها فى الصحراء .

طنطاوى: وليه كنت بتاخدها وليه ما تقولشى .

إسماعيل: خفت منك .

طنطاوى: مين اللى كان بيوزعها عليكم .

يحيى : فيتوريو مساعد المخرج توتو .

طنطاوى: الإيطالى الصعلوك . . وكان بيقول لك إيه .

يحيى : كان بيقول لى . . ابسط نفسك وابسط أصحابك

وفرفش . . إنتو بتقولو عندكو . . قول يا باسط وطول ما انت حى رزقلك جاى .

طنطاوى: كمان . . بيفتى فى الدين ، ويصوره لنا على أنه دين مخدرات وحشيش ، وقول يا باسط ، وطول ما انت حى رزقك جاى . . رزقك جاى منين . . من المقشة وهو واحد البلد نهيبه وعاوز ينومك بالمخدرات عشان تنام على حقوقك . . مسيو فيتوريو الصعلوك يفقهنا فى الدين . .

لكن الحقيقة الحكاية مش فيتوريو . . فيتوريو مجرد دمية ومن وراها خيوط بتحركها ، وإيدين كبرى خفية بتحرك الخيوط وأدمغة جهنمية تحرك الايدين .

مين هم أصحاب الأدمغة .

هو ده السؤال .

عيسى : لا بد من كشف كل شيء .

أحمد : لابد من العمل فوراً .

طنطاوى: اخرجوا كلكم . . وكل واحد يكون عين ومرصاد . . لازم نعرف كل شيء .

(يخرجون) .

(طنطاوى وحده . يذرع المسرح فى عصبية . يعصر يديه . يخبط على جبهته) .

طنطاوى: حتى أنا . . اترهل . . واتحلل . . كثمرة تتعفن . . وافقد العزم والهمة والنقاء والوضوح حتى أنا . .

(يدخل جيمى الفونت يترنح من السكر ويدندن) .

جيمى : بيجوزونا ليه . .

ترللا ليه . .

ترللا ليه . .

بيجوزونا ليه . .

ترللا ليه

ترللا ليه . .

(يكتشف وجود طنطاوى) .

جيمى : (يقبل عليه بابتسامة لطيفة بريئة) إنت هنا يا مسيو برهومى . . (يمد يده ويربت على كتفه) أنا بحبك يا شيخ مسيو برهومى . . وعاوز أقولك حاجة . . إنت أصلك راجل طيب . . وابن حلال مصفى . . وأنا قلبى عليك يا شيخ مسيو برهومى . . أوعى تحضر الرقصة الجديدة إللى بيجهزوها .

طنطاوى: (يتيقظ فضوله) رقصة الحب والحرب . . ليه يا فونت .

جيمى : هم بيقولولك البنادق الرشاشة حاترش ملبس وبونبون وشوكولاته على المتفرجين . . يضحكوا عليك يا درويش ياكرودية . . البنادق حاترش ذخيرة حية . . حاترش الموت .

طنطاوى: (يقفز عليه ويمسكه من كتفيه) فونت . . فوق لنفسك كويس . . اصحى . . إنت عارف بتقول إيه . . الكلام اللى بتقوله ده خطير . . خطير .

جيمى : أنا شفت صناديق الذخيرة الحية بعينى يا شيخ مسيو برهومى . . وشفتهم بيتمرنوا عليها فى الجبل . . أنا سكران صحيح لكن فونت . . وطول عمرى كنت راجل فونت . . بس الجواز هو اللى ضيع أخوك الفونت . . أوعى تتجوز (يعود إلى الدندنة والغناء) .

كانوا بيجوزونا ليه
ترللا ترللا . . ليه
ترللا ترللا . . ليه

طنطاوى: (يمسك جيمى ويهزه) فونت . . أرجوك . . فوق لنفسك . . فتح عينيك . . شفت إيه بالضبط .

جيمى : ترللا ترللا . . ليه
ترللا ترللا . . ليه
النهاردة حاياخدوا البلد كلها يا شيخ مسيو برهومى حاياخدوها وهى سكرانة مغمى عليها .
ترللا ليه . .
ترللا ليه . .

(يخرج وهو يترنح كما دخل) .

طنطاوى: فهمت . . فهمت . . فهمت كل شىء . . فهمت الحكاية كلها . . من أول طرقة على باب كوخى فى الصحرا لما دخلت الفتنة وقالت لى إن معاها المال والمدنية والنور ، وإنها تضع تحت تصرفى كل شىء . . وإنها بتحبنى . . واستدرجتنى بكل السبل لتخلعنى من مكانى . . لتستولى على مكانى وبعدين تستولى على الأرض وسكانها ، وبعدين تستولى على العقول والقلوب والضماير والذمم ، وبعدين تجعل منا خدم وعبيد وجوارى وشعب محلول مغمى عليه فى البارات والسكك .
أخيرًا فهمت
لكن مفيش حد حاياخد شبر من أرضى .
حاسبقهم كلهم إلى النهاية .

(يخرج كالقذيفة . . على حين يظلم المسرح تدريجيًا) .

....

(فترة إظلام قصيرة تخفها موسيقى تصويرية عسكرية ثم تلقى بقعة ضوء وسط الظلام على وجوه سونيا وأونكل وجدو وتوتو كأنها وجوه شياطين تلمع على أرضية مظلمة وقد مالت بعضها على بعض فى وشوشة) .

سونيا : المدافع البلاستيك اللى كنا بتمرن عليها فى البروفات حانستبدلها الليلة بالمدافع الحقيقية . . الرشاشات اللعب

بالرشاشات الحقيقية . . ويعب الأطفال بقنابل يدوية . .
ومسدسات الصوت بمسدسات موت .
ولما أشد الوردة من صدرى عشان أرميها تحية للبطل
تضربوا النار كلكم فى وقت واحد . . وانتو عارفين
حاتضربوا على مين .
والباقى سهل
مش حاتلاقوا مقاومة . . البلد كلها سكرانة من الشرب
والرقص والغنا ونايمة على ضهرها من اللذات والإفراط
والبلادة والتفاهة .

(تطفئ بقعة الضوء لتضيء بقعة أخرى فى الجانب المقابل من المسرح حيث وجوه الشيخ طنطاوى وزكريا ويحى واسماعيل وعيسى وأحمد وقد مالت بعضها على بعض فى وشوشة) .

عيسى : خدعونا

طنطاوى: لبسونا خرقة المجذوب وقالو لنا هى الدين .

عيسى : غرقونا فى الدعارة وقالو هى الفن .

اسماعيل: علمونا الإلحاد وقالو هو العلم .

أحمد : فرقونا بالصراع الطبقى وقالوا هو العدالة الاجتماعية .

عيسى : وخدوا أرضنا .

يحيى : وخيراتنا .

اسماعيل: وكنوزنا .

عيسى : وثرواتنا .

أحمد : والآخر حايقتلونا .

طنطاوى: حانقتلهم قبل ما يقتلونا .

(تنطفئ بقعة الضوء) .

(وبعد فترة ظلام قصيرة يضاء المسرح تدريجيًا على مارش عسكرى ونرى الفرقة الاستعراضية كاملة) .

(الراقصون والراقصات بملابس حرب عسكرية يضعون المدافع الرشاشة فى خصورهم ويتحركون فى تشكيلات) .

(أونكل يكمن وراء تبة مدفع) .

(المخرج توتو فى لباس مارشال) .

(جدو فى عربة مصفحة) .

(سونيا فى فستان أزرق طويل فى صدرها وردة)

(الوحيد فى الفرقة الذى يبدو خارج اللوحة وخارج الجو هو جيمى الفونت الذى يحتضن زجاجته فى ركن ويسكر . . وقد أعطى ظهره لكل شيء) .

(الكل فى انتظار البطل) .

(يغنون فى كورس مع حركة التشكيلات أغنية قصيرة تعبر عن انتظارهم للبطل . وإنه قادم ومعه المجد والنصر . . وانهم يتحرقون شوقًا للقائه) .

(يدخل البطل . . قائد عسكرى أوربى فى لباس حرب أوربية يجرجر وراءه سربًا من الأسرى الآسيويين) .

(تهليل صاخب . . تتقدم منه سونيا لتناوله الوردة . قبل أن تمد يدها لتنزع الوردة وتلقيها إليه يظهر الدراويش كالعفاريت كأنما انشقت عنهم

الأرض . . فى ثياب مقاتلين عرب وفرسان عرب وفى أيديهم المدافع الرشاشة .

الشيخ طنطاوى : (صارخا) ارفعوا الأيدى .

(يتجمد الكل فى أماكنهم من المفاجأة ويرفعون أيديهم تمتد يد أونكل إلى مسدسه فيعاجله طنطاوى بوابل من الرصاص يرديه قتيلاً) .

طنطاوى: (فى هدوء) وقع الحافر فيما حفر .
كنتم تحفرون لنا طول الوقت .
وكانت معاولكم مزوقة جميلة .
مرة اسمها العلم .
ومرة اسمها التمدن .
ومرة اسمها الفن .
ومرة اسمها الفلسفات المستوردة والأفكار العصرية .
ومرة اسمها المخدرات والموضات وأدوات الزينة .
ولكن اليوم يتغير كل شىء .

(فى صوت بارد قاطع) خدوهم وقيدوهم ورحلوهم لبلادهم قبل الفجر . . اليوم تعود إلينا بلادنا وأرضنا وشخصيتنا .

(يهجم عليهم الدراويش ويسوقونهم فى طابور إلى خارج المسرح . . يظهر الشيخ ادريس . . كان مختبئاً مع جدو فى العربة المصفحة . . يراه الشيخ طنطاوى فيشير نحوه)

— والشيخ إدريس . . معاهم . . ده منهم .

(يسوقون الشيخ إدريس إلى الخارج والبندقية فى ظهره وهو يولول فزعاً)

(شيئاً فشيئاً يخلو المسرح . . لا يبقى إلا جيمى الفونت وعيسى وطنطاوى)

(يذهب عيسى إلى الفونت ليسوقه إلى الخارج مع أصحابه ، ولكن طنطاوى يعترض طريقه) .

طنطاوى: سيبه . . ده معانا .

عيسى : ده كافر .

طنطاوى: بل هو من أهل الصدق .

عيسى : ده ما يعرفش ربنا .

طنطاوى: حايعرفه . . من يتوسل بالصدق يصل .

عيسى : ده سكير .

طنطاوى: ده كان صاحبى أكتر منك (يذهب إليه ويحتضنه) ، إن حربه حربنا وقضيته قضيتنا . . كلنا نطلب الحق بكل سبيل .

عيسى : بالخمرة .

طنطاوى: (يحتضنه) لا . . غداً يسكر بخمرنا . . خمر الإيمان ويلبس ثيابنا . . الثياب التى دخل بها طارق بن زياد أسبانيا ، ودخل بها خالد بن الوليد اليرموك . . لن يجردنا أحد من تلك الثياب بعد اليوم .
لقد بدأت النهاية وغداً نغير كل شىء .

(ينزل ستار الختام على دمدمة الرصاص والمدافع الرشاشة وعلى مارش الانتصار) .

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطرق أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.

دار المعارف